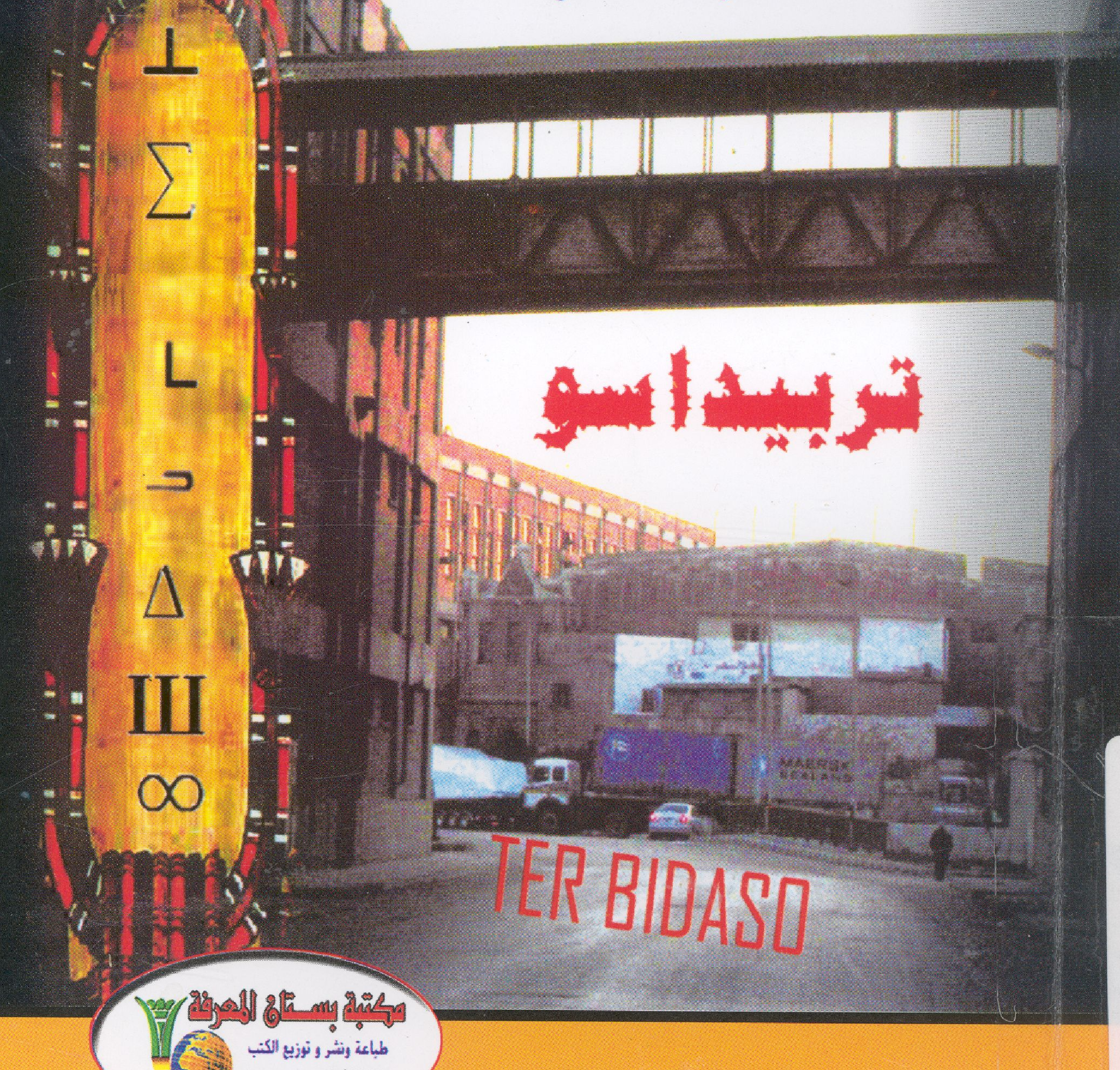
محمود شرف

تربيداسو



مكتبة بستان المعرفة
طباعة ونشر و توزيع الكتب
٠١٢/١١٥١٢٣٧-٠٤٥/٢٧١١٤٩٥

تربداسو

TER BIDASO

تأليف

محمود شرف عبد الجليل

مكتبة بستان المعرفة

طباعة ونشر وتوزيع الكتب

كفر الدوار - الحدائق - ش سور المصنع - أمام أبراج الحلواني

☎ : ٠٤٥/٢٢١١٤٩٥ & ٠١٢/١١٥١٢٣٧

بسم الله الرحمن الرحيم

إن المجتمعات العريقة
تسمو بفضل ما يحويه
نسيجها من عناصر نابضة
.. نادرة ،.. ونقية ... تستمد
منها صلابتها وبقاءها

المؤلف

رياح الظلام

لليوم الثانى على التوالى .. ولم ينقطـع المطـر .. فابتلت الأشجار حتى جذوعها .. وناءت الأوراق بما حملت به من الماء المنهمر .. وأصاب الشلل العديد من البالوعات فارتفع منسوب المـاء فـى الشـوارع بشـكل ملحـوظ .. ومساحات المطر على زجاج السيارة تتحرك أمـامى جيئـة وذهاباً لاهثة لتدرك كسح ما استجد من قطرات.

وزاد من تعذر الرؤية .. انقطاع التيار الكهربائى .. فانطفأت مصابيح الشارع على امتداد مرمى البصر مما زاد من تفاقم الأمر.

وبدت السيارات تحبو بطيئة كالسلاحف وهى تشـق طريقها بحذر تحسباً لأية أعطال محتملـة .. ولقـد شـاءت الأقدار أن أعيش هذه المعاناة في طريق عودتى من عملي.. ووسط هذا الإيقاع البطئ تسللت الأفكار من ذاكرتى .. فحفل زفاف أخى شعبان على الأبواب ولابد مـن الاسـتعداد لـه وتدبير أماكن الإقامة للوافدين من الأهل مـن المحافظـات الأخرى من خارج الإسكندرية.

شعبان الذى لم يمض علـــى حضـــوره مـــن دولـــة الإمارات التى يعمل بها سوى أيام قلائل توجه على الفـــور إلى كوم امبو حيث تنتظره أمنا وباقى الأخوات فـــى لهفـــة بخلاف عماتنا وبنات عماتنا وقد وعدهم شعبان بهدايا مـــن الفساتين الجميلة التى ستليق حتما بهذه المناسبة السعيدة ثـــم عروسه النوبية التى تقيم بالإسكندرية. كم أود أن أوفيها حقها .. قد اتفقـــت العائلتـــان علـــى أن تكـــون مراســـم الحفـــل بالإسكندرية.. ولازالت بعض بطاقات الـــدعوة لـــم تصـــل لأصحابها بعد .. ولا أعلم كيف سيتيسر لى إنجاز كل تلـــك المهام بينما لازال الطريق أمامى مزدحماً بالسيارات .. ولم أعد أملك سوى الانتظار..

وبينما خيم علينا سكون الليل المشوب بالتوتر والملل .. إذ بصرخة اليمة تشق هذا السكون وتبدد الأفكار تبديداً .. بدت الصرخة كأنها استغاثة امرأة .. ثم صوت باب ســـيارة يوصد بشدة .. ثم اقتراب وقع أقدام مسرعة.

حاولت أن استرق السمع .. لأ تبين مصـــدرها .. إذ بى أفاجأ بمن يفتح باب سيارتى عنوة .. وشخص مجهـــول

يدلف داخلها بجسارة دون استئذان .. ثم أفاجأ بومضة خنجر .. وجه نصله البارد خلف أذني .. حاولت مذهولاً أن أتبين فى المرأة ما أقدم عليه هذا الغريب المتهور .. لكن وخز النصل فى عنقى كان كافياً بأن يشل حركتى .. اطلع شمالك بسرعة.

وما أن سمعت هذه اللهجة الامرة حتى قمت بتنفيذ ما أمرت به على الفور اختلست النظر فى المرآة ورأيته .. كان يلبس قناعاً يخفى به ملامح وجهة .. أسرعت بالتحرك.

"أدخل من الفتحة اللى على شمالك" ولا أدرى كيف تصادف قرب سيارتى من هذه الفتحة التى استطعت الالتفاف منها فى الاتجاه المغاير .. وتصادف أن كان الطريق خالياً من السيارات.

"بقولك بسرعة" وجدت نفسى انطلق بسيارتى كالريح .. ويبدو أن قدمي قد تبلدت على دواسة السرعة .. فظلت السيارة منطلقة بينما كنت أعانى من رجفة عارمة اجتاحت كل خلجة من خلجات نفسى ويداى لازالتا تقبضان بشدة على

عجلة القيادة .. وشرد عقلى فلم أعد أعرف إلى أين أسير أو أين المصير .. ولم أدرك ببصرى ســوى مالمحتــه علــى الجانب الآخر فى لحظة خاطفة جمهرة من النــاس تتــزاحم كمن يدفعهم الفضول لمشاهدة حادثة على الطريق.

"ادخل من الشارع الضيق" فعلت دون أن أنبس بكلمة حيث أحسست من نبرات صوته جديته في الحاق الأذى بــى عند أية بادرة .. بضعة أمتار .. ثم جاءنى صــوته الأجــش "يمين على طول" حاولت أن أختلس النظر مرة أخرى لعلــى أكتشف من يكون هذا المعتوه .. وفجأة صاح فى أذنى قــائلاً "أوقف هنا".

خشيت أن أتوقف فجأة فينغرس نصل الخنجــر فــى رقبتى .. ورغم ذلك فقد حاولت جاهداً التوقف بهدوء.

وبنفس اللهجة الآمرة قال "ولع الكشاف الكبير واطفيه مرتين" ففعلت ما طلبه مرة ثم مرة ثانية .. ولم أكــد أفعــل حتى فوجئت بوابل من الطلقات النارية المتلاحقــة أحالــت الظلام إلى جحيم مستعر .. وأضواء كاشفة ســلطت علــى

وجهى فأفقدتنى الرؤية تماماً حتى انكفأت مختبئاً برأسى بين كتفى يلاحقنى صوت تهشم زجـاج السـيارة .. وشـظاياه المتطايرة تنهال على أم رأسى وكتفى .. ومن وطـأة هـذا الانقضاض الصاعق .. شعرت بأننى هالك لا محالة .. ولم أدر كيف تشنجت أصابعى على مفتاح تشغيل الكشاف الكبير، إذ رحت أغير من وضعه بطريقة هستيرية تشبثاً بالحياة.

فجأة توقف صوت الطلقات .. وخيم السكون حـولى مرة أخرى .. فهممت برآسى.. بينما كان لسانى مسترسـلاً فى ترديد "بسم الله الرحمن الرحيم .. احفظنـى يـارب" .. وجُلت ببصرى لاحصى فداحة الكارثة بينما راحـت يـدى تتحسس رأسى ووجهى وصدرى.

صدرت منى شهقة .. "دم .. دم" ياربى .. إن يـدى ملطخة بالدماء . أوَ قد أصبت دون أن أدرى .. آى .. آى.. لكن أين الجرح.. ؟

لحظات واضطرب قلبى هلعا مـن ذلـك الإرهـابى الرابض خلفى .. لماذا لم أراه فى المرآة .. ربما سيفاجئنى

مرة أخرى ، ترى ما الذى يدبره فى صمت حتـــى الآن .. اعتدلت فى جلستى رويداً ثم استجمعت شجاعتى .. ونظرت فى المرآة المهشمة أمامى مرة أخرى ثم استدرت برأسى .. يا للهول .. وجدته غارقاً فى بركة من الدماء بين المقاعــد وقد فارق الحياة .. إذاً الدماء التى لطخت يدى دماؤه .. نعم .. فالطلقات قد اخترقت صدره بعد أن تهشم زجاج النوافــذ والزجاج الخلفى .. يا الهى .. كأنه كان مستهدفاً بذاته .. هذا الإرهابى اللعين قد أوقع نفسه وأوقعنى فى كمين لــم يكــن وارداً فى حسبانه .. أو ربما غدروا به فدفع حياته ثمناً لغبائه .. هذا الأحمق الذى ملأ قلبى رعباً .. يرقد الآن جثة هامدة فى بركة من دمائه .. سبحانك ربى .. تلك عيناه .. لازالتـــا جاحظتين كأنهما قد كلفا بإلقاء الرعب فيمن ينظر إليهمـــا .. وأرى احدى يديه قد تحجرت على مقبض الخنجر .. واليــد الأخرى ممسكة بسلاح نارى .. يبدو انه لم يوفق فى الذودبه عن نفسه.

.. تلفتّ حولى فى خوف وحذر .. وسكون الليل يلفنى بأشباحه المرعبة وبى رغبه عارمة فى التخلص من هذا الكابوس الرهيب.

هممت بالخروج من السيارة .. ولكن شئ من الفضول دفعني لكى أكشف عن غطاء وجه هذا الشقى .. وفي عجلة من أمرى انتزعت بيد مرتعشة ذلك القناع .. ياالهى.. من يكون هذا اللعين ولماذا اختار سيارتى بالذات دون سواها .. تفرست فى ملامحه لكنى لم أتوصل إلى شئ .. وفي لهفة الخائف فتحت باب السيارة وخرجت منها مسرعاً وأنا أنفض عن نفسي شظايا الزجاج .. يبدو أن المطر قد توقف دون أن أشعر بذلك .. ولكن أين أنا الآن ... أين أنا ؟

أعرف الكثير من شوارع الإسكندرية .. ولكن هذا الطريق يبدو أننى لم أطرقه من قبل .. وأى حى هذا ..؟ فالمحلات قليلة وكلها مغلقة ويبدو أنها مخازن لبنوك مختلفة .. والمبانى من الطراز المعمارى القديم .. وتذكرت شيئاً .. فاليوم (الأحد) وهو عطلة أسبوعية لبعض المنشآت.

ولكن أين ذهب أولئك الأوغاد الذين تربصوا بنا تلفت فلم أجد لهم أثراً على الإطلاق .. أخشى أن يكونوا مختبئين داخل تلك المباني.

أين الناس .. الطريق خال من المارة ..

دقائق من الصمت أردت فيها أن أتدبر أمري .. أثناءها لمحت شخصاً ما يشير نحوى بيده لآخرين داخل سيارة .. يبدو أنها سيارة شرطة نعم إنها سيارة شرطة .. أدركت أننى المعنى إذ أقبلت السيارة نحوى .. تنفست الصعداء شعرت فيها بقرب الانفراج ونهاية المأساة.

اقتربت السيارة منى .. ثم توقفت وسرعان ما انفتحت الأبواب وخرج منها اثنان فى زى الشرطة أسرعا نحو سيارتى .. وتفقد أحدهم داخلها .. بينما إنكفا الآخر على جثة القتيل ولمحته يتحسس سترته ثم يخرج منها شيئاً سرعان ما دسها فى جيبه .. وكنت قد تهيأت استعداداً ليشملونى برعايتهم ولكن تعجبت عندما هما بالانصراف دون أن يعيرونى انتباها..

ساورتنى الشكوك فى أمرهم .. إلا أنه سرعان ما توقفت سيارتهم وخرج منها واحد منهم فى عجلة ثم جذبنى بشدة إلى داخل السيارة وانطلقوا بى دون أن يتفوهوا بكلمة واحدة ..

استبد بى القلق فصحت فيهم باستياء .. خبرونى ما خطبكم .. وأرجو أن تفهموا جيداً أننى لا أعرفه .. وليست لى أية علاقة بالقتيل .. ثم ماجريرتى وكل ما حدث كان بسبب ذلك اللعين .. صدقونى أنا لا أعرف عنه شيئاً .. انا مظلوم والله مظلوم .. وحمدت المولى أنكم جئتم فى الوقت المناسب.

توقفت عن الكلام برهة لألتقط أنفاسى .. فلاحظت أننى كنت أتكلم دون أن يستمع إلى أحد بل يبدو أنهم لم يبالوا بما قلته بدليل أنه لم تصدر منهم أية إجابة .. ولكى يطمئن قلبى .. سألتهم متشككاً ألستم من الشرطة .. فلم تأتنى الإجابة .. عندها أصبت بالهلع فى أعماقى حتى شعرت بهم قد توقفوا .. وإذ بهم يباغتونى وينقضون على ثم إذ بهم يقذفون بي خارج سيارتهم بشكل مهين وبلا رحمة كدت على أثر

فعلتهم هذه أن أفقد الوعى حيث ارتطمت رأسى برصيف الشارع لولا عناية الله إذ ألهمنى أن أحتمى بين ذراعى حتى استعدت توازنى .. إلا أننى لم أكد أقف على قدمى حتى رأيت الهلاك بعينى رأسى .. فقد صوب أحدهم سلاحه النارى نحوى .. وهم باطلاق النار ويبدو أن عناية الله كانت هى الامضى ففى نفس اللحظة لمحوا قدوم سيارة ما نحوهم .. فانطلقوا مبتعدين فى سرعة بالغة .. بينما ظللت جامداً وحدى فى شرود تام .. أردد فى دهشة .. موش معقول موش معقول أهؤلاء ليسوا من الشرطة .. والسيارة هى أيضاً يبدو أنها مسروقة.. !!

يا إلهى .. أهكذا كل شئ زائف كما أراه .. كنت قاب قوسين أو أدنى من الموت .. ولم يسعفهم الوقت للتخلص منى .. ولكن لماذا ؟ .. يارب احطنى بسياج من حصنك فقد يحاولون ذلك مرة أخرى.

برودة شديدة شعرت بها قد سرت فى أطرافى .. لم استسلم لها فاستجمعت شتات نفسى محاولاً الفرار فانطلقت أعدو وأعدو بأقصى ما أوتيت من قوة .. وعلى مدى

الطريق لم أكن أسمع سوى وقع أقدامى حتى تلاشت مع ومضة من طيف زوجتي وابنتي المسكينة ريهام ودفء بيتى .. وتتلاشى الأطياف الجميلة حين بدت قدماى تؤلمانى حتى شعرت بها تعلنان العصيان حيث تشبثت بالأرض فكان على أن انتزعهما انتزاعاً .. أملاً في النجاة وكان أملى فى الله أن تكون وجهتى صواباً على ان وصلت إلي مشارف أضواء متناثرة لعله يكون الطريق الرئيسى .. فمنه سأتبين موقعى .. ولم أدر لماذا تذكرت سيارتى ثم ذلك القتيل المضرج فى دمائه ولماذا اختار سيارتى وأين هى الآن ولكن لن أشغل ذهني بتلك الأشياء الآن .. فإن كان فى العمر بقية فمع الصباح أمور أخرى .. ها قد وصلت الآن إلى أول الطريق .. وظهر بعض المارة أخيراً .. اقتربت مسرعاً نحو أحدهم..

ياحضرة .. ياحضرة .. لو سمحت ما اسم هذا الحى؟

قال : حى كفر عشرى .. ثم مضى لحال سبيله.

قلت : كفر عشرى : وبسرعة لاحقته بسؤال آخر.

وأين الشارع الرئيسى من فضلك؟

فأشار نحو ممر ضيق وقال : أدخل منه وستجد نفسك فى الشارع العمومى.

توقفت متردداً .. ولكن الخوف الذى مازال يتملكنى جعلنى لا أجد مفراً من أن أسرع الخطى فى عبور ذلك الممر و فعلاً وجدت نفسى على الطريق الرئيسى .. وهنا أدركت تماماً .. أين أنا .. وفى حينه توجهت مسرعاً إلى أقرب محل تجارى واستسمحته فى استعمال التليفون .. أدرت القرص فى عصبية بالغة .. فأتانى صوت ابنتى الصغيرة ريهام أحسست عندئذ بالحياة وقد عادت تدب فى أوصالى ريهام أزيك ياحبيبتى .. أنا بابا.. فين ماما؟.

بابا .. بابا مالك يا بابا ؟

مفيش فين ماما .. خليها تكلمنى بسرعة.

حاضر .. ماما .. ماما .. بابا على التليفون.

ألو .. ممدوح .. اتأخرت ليه ياحبيبى. فيفى اسمعى خذى سيارتك الصغيرة .. وتعالى فى الحال.

ممدوح مالك .. وتأخرت ليه .. وفين سيارتك؟

مافيش وقت .. أرجوكى .. تعالى بسرعة وسأشـــرح لك بعدين أنا بجوار مركز المطافئ فى الشارع الرئيسى بكفر عشرى بجوار كوبرى التاريخ .. أسرعى فى الحال.

حاضر سأكون عندك فى لحظات.

وضعت سماعة التليفون فى عجلـــة ودفعـــت قيمـــة المكالمة .. ثم أسرعت لاتوارى عـــن الأنظـــار خشـــية أن يلمحنى الجناة مرة أخرى .. فينالوا منى ورغم أننى شاهدت اثنين من رجال الشرطة .. إلا أن الهواجس قد بلغـنـت بـــى مبلغاً جعلتنى أتوارى عنهم فلا يلدغ المؤمن من جحر مرتين .. مرت الدقائق بطيئة كأنها الدهر كله .. وأنا لا أكف عـــن النظر إلى ساعتى فى توتر بالغ..

وأخيراً ظهرت سيارة زوجتى .. وما أن اقتربت منى حتى سارعت بالدخول فأوصدت الباب خلفى ولسانى يردد .. الحمد لله .. الحمد لله..

استقبلتنى زوجتى في دهشة شديدة..

ماذا بك يامممدوح ؟ .. وأين سيارتك .. ولماذا أنــت مضطرب هكذا .. .. تكلم يا ممدوح .. هل أصابك مكروه لا قدر الله .. وماذا ألم بهندامك؟ .. قل شيئاً يامممدوح..

أسرعى من فضلك .. أسرعى .. أود أن أكون بالبيت حالاً .. وهناك سأتكلم وانطلقت زوجتى بالســيارة والحيــرة تغمرها... وسرعان ما وصلنا وفى لهفة أســرعت بــدخول البيت ثم تهاويت بكل ثقلى علــى أقــرب مقعــد صــادفنى بالمدخل.

ساعدتنى زوجتى فى استبدال ملابسى .. ثــم قمــت لأضع رأسى تحت الماء لعلى أحــس بالانتعــاش ســمعت زوجتى تنادى من المطبخ كعادتها "ممدوح العشا جاهز".

سأحضر حالاً رغم أننى لا أحس بالجوع.

جلسنا إلى المائدة .. وبدت زوجتى متلهفــة لســماع حكايتى.

أخذت شهيقاً عميقاً لأملأ رئتى بالهواء النقى المفعــم بالأمان ثم بدأت أقص عليها ما حدث لى من البداية فــىحين

راحت ابنتى الصغيرة تغط فى نوم عميق أدركها قبل وصولى عائداً للمنزل.؟

ظلت زوجتى متتبعة لوقائع قصتى بكل جوارحها.

وعندما إنتهيت .. سارعت باحتضانى لتهدئ من روعى .. فسكنت إليها بارتياح وفى توقيت واحد وجدت نفسى وزوجتى ننطق سوياً فى صوت واحد "ومن يكون هذا الشخص" وكان ذلك مجرد توارد خواطر كثيراً ما يحدث بيننا..

قلت : صحيح .. من يكون هذا المخبول .. ليرهبنى ثم يلقى حتفه داخل سيارتى.. ترى أين رأيت هذا الشخص من قبل .. فالوجه أكاد أذكره .. لكن أين .. أين .. ومن هو .. من .. هو ..

.. يا إلهى .. يبدو أننى تذكرت شيئاً .. أليس هو .. ذلك العامل .. عامل أنابيب البوتوجاز بالمستودع القريب منا..

لكن .. لا .. لا .. لست واثقاً .. ولا أستطيع الجـزم بأنه هو لكن هناك شخص آخر تكاد ملامحه تطـابق نفـس ملامح القتيل.

ياربى .. كيف يكون ذلك .. فالأمر يكاد يختلط علـى فالشخص الآخر هو بائع الفول السودانى المتجول.

أراه كثيراً يقف بعربته الصغيرة أمام مدرسة البنـات .. نعم فقد شاهدته عندما تزاحم أطفال المدرسة على حبـات الدوم والمصاصات بجانب الفول السودانى واللب .. وابنتـى الصغيرة لم تستطع بقامتها القصيرة أن تصل بيدها للبائع .. فكنت أشير إليه بأن يلحظها وهى تحاول جاهدة حتى تلفـت نظره إليها .. ولم تكن توفق حتى تبدأ حـدة الزحـام فـى الانحسار.

عندها اقتربت شخصياً من البائع وتفرست فى ملامحه جيداً آنذاك وأنا أرفع ابنتى بكلتا يدى ولكن كيف يستقيم ذلك مع المنطق .. هل هما توأمان .. ربمـا .. فعامـل أنابيـب البوتاجاز قد سبق وأن تحدثت إليـه ذات يـوم بخصـوص

المنظم وضرورة تأمينه جيداً .. واختباره للتأكد من عدم تسرب الغاز منه .. ولازلت أذكر ملامح وجهة .. خاصة عندما بدرت منه نظرة غريبة لم أفهم مغزاها حين ذاك.

لم أكد أفرغ من عشائى حتى سارعت إلى فراشى على غير العادة مستسلماً لسلطان النوم الذى تقت أن يغشانى فى التو بلا منازع .. إلا أن شبح الأحداث ظل يؤرق مضجعى .. فرحت أتقلب فى فراشى محاولاً طرد هذا الشبح السخيف ويبدو أن سلطان النوم قد تغلب أخيراً .. إذ لم أشعر بنفسى إلا وضوء النهار يطرق ستائر نوافذ غرفتى.

نهضت على الفور آملاً أن تكون أحداث الأمس ما كانت إلا مجرد أضغاث أحلام ثم سمعت زوجتى تقول الشمس أشرقت يا ممدوح .. هيا ففطارك جاهز منذ فترة ثم دخلت الغرفة وقالت .. صباح الخير يا ممدوح..

خشيت أن أوقظك يا حبيبى لتأخذ قسطاً من النوم والآن هيا .. لاتكن كسولاً فأمامك عمل كثير..

.. آه صباح الخير يا فيفى .. عندى صداع فظيع..

ذلك لأنك لم تنم جيداً مساء أمس .. فقد كنت دائم التقلب فى فراشك حتى أدركك النوم قبل الفجر تقريباً .

حقاً .. يبدو ذلك .

على كل حال سيزول عنك الصداع بعد تناولك إفطارك بإذن الله .. نهضت من فراشى عازماً على أخذ حمام سريع .. فكانت مرآة الحمام مسرحاً شاهدت فيها الأحداث وهى تتكرر أمام عينى مرات ومرات حتى لذت بالخروج مسرعاً ..

تناولت إفطارى فى عجلة فقد اختمرت فكرة فى رأسى وقبل أن اطلع زوجتى عليها وجدتها تسألنى فى قلق بعد أن استبد بها الفضول.

قالت : ممدوح : إلى أين أنت ذاهب الآن ؟

قلت : أولاً .. سأتوجه إلى مستودع البوتاجاز للوقوف على حقيقة ذلك الرجل وثانياً .. مركز الشرطة لا قدم بلاغاً بالأحداث التى ألمت بى وبسيارتى

قالت : طبعاً هذه أمور هامة جداً .. أسرع رعاك الله.

وقبل أن أهم بالخروج سألت زوجتى عن ابنتنا ريهام فأجابت بأنها بخير وقد ذهبت إلى المدرسة منذ لحظات بعـد أن طبعت على خدك قبلة الصباح دون أن تشعرك بها.

حسناً فعلت .. تلك العفريتة .. الله يرعاها.

ومرت لحظة سكون .. ثم سمعت جرس الباب يدق .. وكانت زوجتى قريبة منه فبادرت بفتحه .. ثم سمعتها تصيح بانزعاج .. ما الخبر .. وماذا تريدون؟

أدركت أن هناك أمراً يجرى غير عادى ..

أسرعت نحو الباب فوجدت اثنين من رجال الشـرطة سألنى أحدهما: حضرتك الأستاذ ممدوح حسن إسماعيل ..

قلت : نعم أنا ..

سيادتك مطلوب فى القسم .. تقابل سيادة النقيب حمدى سعد.

الحقيقة أنا كنت رايح لكم من نفسى لابلغ عـن تحطـم سيارتى بالأمس وأمور أخرى .. فجاء رده على الفور: يـا حضرة سيادتك تقول الكلام ده هنـاك أتفضـل معانـا لـو سمحت..

يا إما توقع على هذا الاشعار .. وتحضر على مهلك .

قلت : على إيه .. طيب لحظة واحــدة .. وســارعت باستكمال ملابسى ثم استعرت مفاتيح سيارة زوجتى وافهمتها برفق بأنه لاداعى للانزعاج وأن كل شئ سيهون بإذن الله.. ثم ودعتها وخرجت فى صحبة الشرطة.

فى مركز الشرطة

ما أن دخلت أحد المكاتب بمركــز الشــرطة حتــى استهلنى ضابط فى الثلاثينات من عمره تقريباً ورأيته ينهض من مكتبه مادا لى يده مصافحاً ثم قال :

حضرتك الأستاذ ممدوح حسن اسماعيل طبعاً

تمام يا أفندم وقدمت له بطاقتى على الفور

أهلاً بيك يا أخ ممدوح .. اتفضل

جلست ثم ألقيت نظرة على اللافتة الموضوعة علــى مكتبه وفهمت أنه النقيب حمدى سعد وبينمــا كــان منشــغلاً بفحص بيانات بطاقتى قال:

طيب يا أخ ممدوح فقاطعته قائلاً : يا فندم قبل ما أعرف انا جاى ليه عايز حضرتك تعرف إنى كنت جاى لوحدى هنا أقدم بلاغ عن أحداث حصلت لى بالأمس اعتداء وتخريب فى سيارتى التى أصيبت بأضرار بالغة فغادرتها مذعوراً وبداخلها قتيل لا أعرفه .. ولا أعلم بمصير السيارة حتى الآن .. فقال فى حزم :

مفهوم ... مفهوم .. حالا الصول فهمى حيأخذ أقوالك فى البلاغ.

عظيم جداً طيب طيب أقدر دلوقتى أعرف لماذا استدعيتمونى ؟

ستعرف حالا يا سيد ممدوح بعد تقديمك البلاغ ثم ضغط على جرس الاستدعاء وصاح .. يا شاويش صالح..

أفندم ..

وصل الييه للصول فهمى يأخذ أقواله فى البلاغ اللى عايز يقدمه وبعدين لو سمحت ياسيد ممدوح تشرفنا بعد ما تنتهى من تقديم البلاغ.

بإذن الله يا فندم ..

وسرت فى صحبة الشاويش صالح حتى آخر الممــر وهناك مكتب الصول فهمى ناحية اليسار .. كان منهمكاً فى الكتابة وبسرعة تنم عن سابق خبرة طويلــة تؤكــدها تلــك الشعيرات البيضاء .. المتناثرة برأسه.

رمقنى الصول فهمى بنظرة عابرة فاحصة من خلف زجاج نظارته بينما كان يرد على مكالمة تليفونية.

خالجنى شعور بأن المتحدث من الطرف الآخر هــو النقيب حمدى إذ أنه أنهى حديثه قائلاً "أهو قدامى يافندم" حالا كل شئ سيتم حسب تعليمات سيادتك.

أحسست فى حينه أن هناك أمر غير عادى إلا أننــى رجحت أنها مجرد تعليمات روتينية.ومعتادة.

أخذت مجلسي بجوار الصــول فهمــى الــذى عــاد يتفحصنى بنظرة متأنية ثم بادرنى قائلاً :

اتفضل قول أولاً اسم سيادتك وعنوانك وسنك ومحــل عملك.

وبدأ يدون كل ذلك مستعيناً ببطاقتى العائلية.

اتفضل قولي اللى عندك ووضح أين ومتى حدثت.

فسردت عليه كل وقائع الأمس بحذافيرها كما وقعت ثم توقف عن الكتابة برهة ليسألنى :

طيب يا أستاذ ممدوح لماذا لم تتقدم ببلاغك هذا بالأمس؟

يا حضرة الصول الوقت كان متأخر وأنا كنت فى حالة يرثى لها وفى غاية الإعياء وعايز أطمئن على أسرتى قبل نفسى وقلت أن الصباح رباح.

هل تتهم شخصاً بعينه؟

حالياً لا .. لكن يمكن بعد ما أتحقق من شئ معين

يا أستاذ ممدوح ده شغل النيابة سيادتكم تقول عن الناس اللى بتتهمهم أو الشخص اللى تتهمه أو تشك أنه له يد فى الجريمة.

أرجوك ياحضرة الصول اعتبره ضد مجهول.

هل لديك أقوال أخرى؟

لا .. وبذلك تمت أقوالى وتوقع منى فى نهاية البلاغ.

اعتدل الصول فهمى فى جلسته ثم قال : حضرتك عند سعادة الباشا تانى.

عندما توجهت إلى مكتب النقيب حمدى تعجبت من السرعة التى تم بها وصول البلاغ بين يديه.

جلست فى هدوء حتى لا أثير انتباهه حيث كان منهمكاً فى الاطلاع على أقوالى مرت فترة وجيزة نظر إلى بعدها وقال :

ها يا أستاذ ممدوح .. كنت عايز تعرف احنا استدعيناك ليه هنا ؟

طبعاً يا فندم .. طبعاً .

قدامى إشارة من جهات أمنية ومن إدارة مرور إسكندرية بتقول أن سيارة حضرتك التى وصفتها فى البلاغ تم العثور عليها فى إحدى الشوارع الجانبية بحى كفر عشرى التابع لمينا البصل كما وجدت جثة شخص مجهول صرع

بأعيرة نارية وأن المعاينة المبدئية قد تبين منها أن الطلقــات صوبت من خارج السيارة وهشمت زجاجها.

وأصابت المجنى عليه كما أصابت جسم السيارة ثــم أردف قائلاً :

ياسيد ممدوح أفتكر كدة كفاية وعلى كل حــال أنــت قصرت علينا المسافة لأن أقوالك فيها الكثير من الإجابــات علىٰ أسئلة كنت ناوى أطرحها عليك ومع ذلك نفتح محضر صغير استكمالاً للأوراق أرجو ما يكونش عندك مانع يا سيد ممدوح. اطلاقاً يافندم وأنا مستعد أعاون بقدر الإمكان.

س : أين كنت قبل وقوع الحادث؟

ج : سبق يا فندم إنى قلت .. كنت عائد من عملى ومتجهــاً إلى منزلى بالإبراهيمية.

س : لكن السيارة كانت تسير فى الاتجاه المغــاير .. فمــا تفسيرك؟

ج : بالضبط كده يا فندم حصل إنى مشيت عكــس اتجــاهى مكرها تنفيذاً لتهديدات المجنى عليه.

س : هل كانت لك سابق معرفة بالمجنى عليه؟

ج : أبداً يا فندم .. أنا لاسبق شفته ..؟ ولاعرفته .. بس الملامح بتاعته أعتقد انها لشخص أعرفه.

س : هل تستطيع أن تذكر من هو هذا الشخص .. وأين يقيم؟

ج : لا ولازم أتأكد الأول لأنه يرجح أكثر من شخص.

س : وضح أقوالك.

ج : إما بائع السودانى أمام مدرسة البنات وأما عامل أنابيب البوتاجاز بالمستودع المجاور لمنزلى .. وأرجوك تدينى فرصة أتأكد فيها الأول.

مفهوم .. بس سيب الموضوع ده علينا.

هل لك أعداء؟

اطلاقاً يا فندم .. أو حسبما أعتقد .. ليس لى أعداء.

س : يا سيد ممدوح أنت متهم بتسهيل والاشتراك فى قتل المجنى عليه .. فما قولك علماً بأنه من حقك التحفظ فى

الرد لحين توكيل محامى يتولى إبداء الدفوع اللازمة نيابة عنك.

ج : كيف اشترك فى قتل شخص لا أعرفه والرصاص من خارج السيارة.

س : هل لك سابق معرفة بالجناة.

ج : اطلاقاً.

س : اذن كيف سمحت للمجنى عليه الدخول فى سيارتك؟

ج : أنا لم اسمح له .. كما وأنه لم يستأذن فى ذلك بل دخل السيارة مقتحماً دون ارادتى أضف إلى ذلك أننى لا أحمل أى نوع من الأسلحة وكان من الممكن أروح ضحية لولا عناية الله وتقديره.

س : إذا كان المجنى عليه دخل سيارتك عنوة كما تدعى وبدون استئذان .. لماذا لم تستنجد بالمارة؟

ج : كيف أفعل والمجرم يهدد حياتى بخنجر يغرسه فى رقبتى.

س : حين خرجت من السيارة .. لماذا لم تستنجد بالشرطة؟

ج : فعلت ذلك فى المرة الأولى وكانت كافية لأنه حين استنجدت بهم اتضح أنهم شرطة مزيفين بل هم قتلة متنكرين فى زى الشرطة وخفت بعد كده لدرجة أننى حين رأيت الشرطة فى المرة الثانية ساورتنى الشكوك من يدرى فقد يكونوا هم أيضاً مزيفين والمؤمن لايلدغ من جحر مرتين.

س : هل معنى ذلك أنك لم تقتل المجنى عليه أو تيسر للآخرين قتله؟

ج : بالتأكيد فأنا لم أقتل أو أشترك أو أسهل لآخرين قتل المجنى عليه وأنا كنت رايح لأسرتى وبفكر فى فرح أحويا شعبان.

س : هل تذكر رقم سيارة الشرطة المزيفين أو أى علامة تميزها؟

ج : لا .. ولكن أذكر شيئاً أعتقد انه غير ذى قيمة.

أرجوك أذكر هذا الشئ فقد يكون له قيمة لدينا.

لاحظت نوع من الطلاء الأبيض على الاطار الخلفى وعلى الصاج أعلا الإطار بشكل معرج كما ولو كان قد انسكب من شخص.

س : هل لو عرضت عليك جثة المجنى عليه سيساعدك فى الادلاء بمعلومات أكثر.

ج : يمكن تساعد .. خاصة وأننى كنت فى حالة ذعر شديد عندما نزعت القناع عن وجه القتيل.

س : هل لديك أقوال أخرى حالياً؟

ج : لا

طيب نقفل المحضر مؤقتاً على أن يعاد فتحه بعد المعاينة

أرجوك توقع هنا يا أستاذ ممدوح ..

ثلاجة المشرحة

فى لحظات توجهنا إلى ثلاجة المشرحة بكوم الدكة وبمجرد أن رآنا المسئول هناك قام على الفور بفتح باب غرفة جانبية تنبعث منها رائحة تزكم الأنوف اضطررنا إزاءها إلى وضع ماصك على الفم والأنف وفهمنا من

المسئول إنها رائحة جثة فى حالة ترمم وصلتهم منذ لحظات وبأنه يعتذر بشدة عن هذا الأمر الخارج عن ارادته وعندما اقتربنا من باب الثلاجة قام المسئول باخراج القتيل وعندها لم أملك إلا أن أردد بصوت مسموع "أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله" سبحانه الذى يحيى ويميت وهوة على كل شئ قدير".

وشعرت حينذاك أن النقيب حمدى ينظر إلى كما لو كان يحاول قراءة وقع المشهد على نفسى وبينما كان يقوم سيادته بالإطلاع على تقرير الطبيب الشرعى تيسر لى قراءته فوجدته تضمن الآتى :

أن المجنى عليه قد لقى مصرعه نتيجة عدة طلقات نارية نافذة اخترقت القفص الصدرى وأحدثت تهتكاً بالأنسجة والأربطة والوريد الرئيسى المتصل بالقلب بالإضافة إلى وجود إصابات متفرقة وبالغة فى الجزء العلوى من القفص الصدرى نتج عنها موت المذكور كما تضمن التقرير أن الوفاة حدثت بين الساعة السابعة والثامنة مساء الأحد الموافق ١٩٩٣/١/٢٣ فى المنطقة التى وجدت بها السيارة.

المفاجأة المذهلة

غادرنا ذلك المكان الرهيب .. وتوجهنا إلى مكان آخر إنه المستشفى العسكرى بمصطفى كامل .. ولا أخفى أننى كنت أسير معه دون أن أعرف سبباً فلا زالت صورة المشرحة عالقة فى ذهنى.

اصطحبنى النقيب حمدى إلى الدور الثالث .. وفى إحدى الغرف المطلة على البحر فى نهاية الممر .. كانت المفاجأة التى أذهلتنى..

. .. هو .. بعينه .. هو بنفس الملامح .. اقتربت منه أكثر فأكثر لعلى مخطئ أو عيناى أصبحتا تخدعانى .. ولكن كيف؟

يا الهى لقد رأيت جثته مسجاة منذ لحظات بثلاجة المشرحة وفى غمرة دهشتى إذ به ينتفض معتدلاً فى جلسته على سريره سليماً معافاً .. فقط ثمة رباط على كتفه ..

ظللت أحملق فيه .. وهو يبادلنى بابتسامة عريضة .. حتى اخرجتنى ضحكة خبيثة من هذا الذهول حين اطلقها

النقيب حمدى لعله أراد أن يضع ذلك إجابة على علامات الاستفهام والتعجب التى أحاطت بى فقال :

يا أستاذ ممدوح .. أعرفك بالملازم صلاح رأفت.

الله .. أنا موش فاهم .. قلتها ويدى ممدودة لتصافح المدعو صلاح رأفت .. شعرت به يشد على يدى مصافحاً ثم قال :

ما تستغربش .. ستعرف كل شئ فى حينه.

ولم ينتظر منى إجابة وانخرط فى حديث هامس مع النقيب حمدى.

فى السيارة

قادنى النقيب حمدى إلى خارج المستشفى .. وأنا أمط شفتى محاولاً أن اعقل الأمور وفى السيارة بادرنى النقيب حمدى قائلاً :

عندك أولاد يا سيد ممدوح.

عندها تذكرت بيتى .. زوجتى .. ابنتى ريهام .. الله الله بنتى ريهام ..

مالها يا أستاذ ممدوح.

ياترى رجعت من المدرسة .. انا .. انا لازم أطمن عليها.

فى مكتب النقيب حمدى مرة أخرى

بمجرد أن وصلنا مكتب النقيب حمدى وجدته يعطى أمراً لعامل التليفون أن يجرى اتصالاً برقم وما أن دق التليفون بمكتبه .. رفع السماعة وقال :

أتفضل يا أستاذ ممدوح .. الأسرة على التليفون.

سارعت بتلقف السماعة فى شغف.

ألو .. فيفى .. أزيكم .. إية الأخبار .. ريهام رجعت من المدرسة ؟

بتقولى مع بنت جارتنا .. الحمد لله .. أنا كنت عايز أطمئن عليكم.

أنا بتكلم من عند النقيب حمدى .. وكلها نصف ساعة وأكون عندكم بإذن الله .. مع السلامة..

ها .. أطمأنيت يا أستاذ ممدوح.

الحمد لله وشاكر فضلك .. واعترف بأنك لماح وذكى

ياسيدى .. دلوقت أشرب القهوة لأن احنا ما عنـــدناش غـــدا وعلشان تلحق الغدا مع أسرتك .. فضحكنا معا .. ثم قلت ..

أنا عايز أعرف إيه المطلوب منى؟

يا أستاذ ممدوح المطلوب منك وبصراحة كدة .. إنك تغيــر أقوالك.

إيه .. أغيرّ إيه .. !!

تغير أقوالك..

أغير أقوالى .. ازاى .. وليه ؟

وسيادتك اللى بتقولى الكلام ده .. موش معقــول .. مــوش مصدق ودانى .!!

بدأ النقيب حمدى يلمح الانزعاج واضحاً من نبرة صوتى ثم من فنجان القهوة الذى بدأ يصطك بطبقـــة حتـــى يكـــاد أن ينسكب.

وهنا بادر بالتدخل ليلطف من حدة الموقف ولهيبه المستعر فقال :

يا أستاذ ممدوح .. إهدأ أمال .. أنا عارف إنك "نوبى" والناس النوبيين ما يعرفوش يكدبوا..

طيب ما دمت سيادتك عارف كده .. أهدأ .. ازاى ..

إذا كان سيادتك الذى يفترض فيك الحرص فى التحرى عن الحقيقة .. عايزنى ..أضلل أكدب .. أنا .. أنا يا أستاذ حمدى!!.

يا أستاذ ممدوح باين الجوع خلا أعصابك فلتت.

على أى حال .. لنا كلام تانى بالليل إن شاء الله.

بالليل إيه يا فندم .. وأنا لوفات عليه ألف ليلة وليلة موش ممكن أغير كلامى وأكدب موش من طبعنا.

أنا فاهم يا أستاذ ممدوح .. أنا فاهم وعارف كويس .. ممكن تتفضل تروح بيتك دلوقت.. زمانهم قلقوا عليك..

السلام عليكم.

لحظة يا أستاذ ممدوح.

أفندم..

أنا حطلب منك حاجة واحدة وأرجو أنك توعدنى تعمل بيها .

إيه الحاجة دى يا فندم .. إذا كانت تمشى مع أخلاقياتنا يبقى مفيش مانع

طبعاً تمشى .. تمشى يا أستاذ ممدوح .. قالها وهو يبتسم.

طيب اتفضل قول ..

فاعتدل النقيب حمدى فى جلسته ثم قال :

أنا عايز كل ما دار بيننا هنا ما يطلعش برة وما يترددش فى أى مكان ولا تقوله لزوجتك لأن الستات لايكتمون السر.. أحياناً ولا أحد من أصحابك .. ده إجراء مؤقت .. لغاية ما نتقابل بالليل .. عندك مانع يا أستاذ ممدوح.

فأجبت فى يأس .. مفيش مانع .. نتقابل بالليل.

وخرجت من مكتبه وأنا فى غاية الضيق والانزعاج من هذا المطلب الغامض.

خيم علينا السكون فراح عقلى يسترجع ما قاله النقيب حمدى ثم تنبهت على صوت ابنتى وهى تقول "كفى يا أمــى .. لاأريد المزيد".

استجابت فيفى لطلب ريهام فتوقفت عن اطعامها على مضض ويبدو أنها تذكرت سؤالها المعهود لى ..

عملت أية النهاردة يا ممدوح؟

سكت عن الإجابة برهة حيث تذكرت ما وعدت بــه النقيب حمدى ثم أجبت فى مرارة :

لاشئ غير أننى تقدمت بالبلاغ وسيجرون اللازم.

وربما أتوجه إليهم هذا المساء مرة أخرى.

فعادت تسألنى وكأنما أحست بأنى اخفى عنها شيئاً.

لماذا هذا المساء مرة أخرى وقد انتهيت من تقديم البلاغ؟

مجرد استكمال للإجراءات.

فسكتت على مضض ثم غيرت مجرى الحديث فقالت :

على فكرة يا ممدوح .. جالك جواب من مدرسة ريهام النهاردة ..

وصممت على أن تسلمه لك شخصياً وبنفسها

ريهام .. ريهام ..

جائتنى ريهام مندفعة وبيدها الخطاب..

برافو شاطرة يا ريهام .. ورينى الجواب كده..

كان من مجلس الآباء بالمدرسة وبه دعوة لحضور اجتماع سيعقد بعد باكر الأربعاء كنت فى حاجة إلى شئ من الاسترخاء فترة ما بعد الظهيرة.

دقائق معدودة ثم نهضت على الفور توضأت وصليت العصر بينما كانت زوجتى قد انتهت من إعداد فنجان الشاى النوبى مع أعشاب حلف البر والذى تعودنا احتساءه فى مثل هذا الوقت من كل يوم.

لقاء السابعة مساءاً

ارتديت ملابس الخروج بينما كانت ابنتى جالسة تستذكر دروسها وبجانبها أمها تؤنس مجلسها وترشدها بين الحين والآخر ..

دق جرس التليفون.. كان النقيب حمدى على الطرف الآخر..

ألو .. يا أستاذ ممدوح ،.. أرجوك تشرف الساعة ٧ مساء.

وهو كذلك يا حمدى بك.

نظرت إلى زوجتى بشئ من الاشفاق المشوب بعلامات الاستفهام

عم ابو هاشم

عندما غادرت منزلى .. تصادف وأن استوقفنى واحد من قدامى الأصدقاء فكانت مصادفة أسعدتنى حقاً .. وأخذنا نتبادل العناق والتحية ثم اجتررنا ذكريات الأيام الخوالى والشلة القديمة .. وزملاءنا أعضاء جمعية أصدقاء السائح وعرفت أخبار كثير منهم.

توقف صديقى عند ذكر أحدهم وقال :

الشئ بالشئ يذكر – تفتكر يا ممدوح .. عم أبو هاشم؟.

مين عم أبو هاشم .. فأردف قائلاً دون أن يترك لى فرصة للتذكر عم أبو هاشم عسكرى السواحل كان ماسك نوباتجية عند كوبرى التاريخ.

آه افتكرته .. والد هاشم زميلنا .. الرجل الطيب .. ماله؟

تعيش أنت .. والعزاء الليلة

لاحول ولاقوة إلا بالله .. أنا عايز أحضر العزا إن شاء الله – هاشم كان دايماً شخصية محبوبه ونفسى أشوفه.

طبعاً العزاء فى بيت هاشم القديم؟.

بالطبع.

وانصرف كل منا فى طريقه على أمل اللقاء فى سرادق العزاء.

للدواعى الأمن

عند دخولى قسم الشرطة .. كان النقيب حمدى واقفاً فأخذنى من يدى واتجه إلى غرفة أخرى .. وهناك تعرفت

على كل من السيد/ وكيل النيابة وضابط من مباحـث أمـن الدولة وصحفى باحدى الجرائد الرسمية اليومية.

أتفضل يا أخ ممدوح .. قالها ضابط مباحـث أمـن الدولة وكأنه يعرفنى تمام المعرفة ثم انتحى بـى جانبـاً .. ليقول لى بصوت خافت..

لما النقيب حمدى طلب من سيادتكم تغير أقوالك كان قصده إنها أمور واجبة لدواعى الأمن وتخدم رجال الأمن فى الإسراع بالقضاء على الجريمة ووأدها فى مهدها والقـبض على الجناة .. حتى نريح النـاس الأمنـين أمثـال أسـرتك وأسرتى .. فقلت:

ممكن سيادتك توضح شوية .. فقال :

المطلوب يا أستاذ ممدوح انك تقول للصحافة كلام .. يمكن يكون مغاير للواقع حبتين لكن حيستخدم كطعم لإحباط محاولات فئة آثمة تسعى لنشر الذمار فى المجتمع.

فهمت .. فهمت .. وأنا تحت أمركم ما دام الأمر فيه مصلحة لمصر.

أكيد يا أخ ممدوح .. واحنا عارفينكم "يانوبيين" انكم لاتحبوا الكدب ولا النفاق ودايماً مخلصين وضحيتم كثير من أجل مصر ومصر تحتضنكم زى ما بتحضن النيل .. ونتمنى المجتمع كله يأخذ منكم صفة الوفاء العظيم..

اشكر سيادتك على هذا الاطراء الزائد.

ده موش اطراء لاسمح الله .. دى الحقيقة بذاتها.

طيب المطلوب منى أقول إيه..

تقول يا أخ ممدوح أن اللى ركب معاك السيارة ليلتها يدعى الملازم صلاح .. وأنه هو اللى عرفك بشخصيته وأنه كان بينصرف معاك لحظتها وكأنه قد خطط لشئ ما ويقوم بتنفيذ تعليمات .. محددة .. وأنه لقى حتفه حينما فتح مجهولان النار فجأة على السيارة.

وبعدين.

وبعدين .. غداً يا أستاذ ممدوح ستقرأ فى صفحة الوفيات نبأ وفاة الملازم صلاح مع صورته .. بخلاف ما سيظهر فى صفحة الحوادث.

البديل

طيب والشخص الموجود فى المستشفى .. يبقى مين؟

دا هو الملازم صلاح نفسه .. لكن لتقارب الشبه بينه وبين الإرهابى القتيل سوف يكلف الملازم بمهمة خاصة .. ونأمل منك المعاونة .. كمواطن صالح ..

وأنا تحت أمركم.

ودلوقتى تسمحوا لى بالانصراف .. لأن عندى واجب عزاء لازم أحضره

فقال وكيل النيابة وعلامات الارتياح قد بدت واضحة فى صوته:

مفيش مانع .. ولما نعوزك سنستدعيك بالتليفون بإذن الله.

ثم أشار إلى مندوب الصحافة الجالس بعيداً وقال :

اعتقد أن مندوب الصحافة عايز يشوفك.

كاميرا الصحافة

تلقفنى مندوب الصحافة بمجرد أن اقتربت منه فأشار إلى زميله المصور فالتقط لى صورة خاطفة ثم شرع يدون

تصريحاتى حول الأحداث التى عشتها فى رعب وســـردتها كما طلب منى تماماً.

تدخل ضابط مباحث أمن الدولة موجهاً كلامه لمندوب الصحافة والمصور.

أرجوكم لا داعى لنشر الصورة الآن .. ويكفى أقواله ويكتفى بصورة السيارة المنكوبة.

فالتفت إلى ضابط المباحث وقلت له مداعباً :

بس أنا صورتى موش وحشة لهذه الدرجة.

ضحك سيادته وقال : احنا بنعمل كدة علشان نحميــك .. ويهمنا سلامتك وسلامة أى مواطن فى مصر..

احنا مقدرين حرصكم ياحمدى بك.

فقال لو سمحت يا أخ ممدوح خذ الكارت بتاعى وأملـــى أن تتصل بى عند الضرورة.

دسست الكارت فى محفظتى وأنا أقول .. بإذن الله يا فندم .. بإذن الله.

ليلة العزاء والخبر المفجع

انصرفت من مركز الشرطة ورأسى تكاد تنفجر مــن شدة ذلك الصداع الرهيب عندما وصلت إلى سرادق العــزاء وجدت هاشم ضمن متلقى العزاء وكان عناقى لـــه طــويلاً مشاطراً له الأحزان والأشواق فى آن واحد وكـــان صـــديقنا الآخر جالساً فى السرادق فجلست بجانبه وكانت حاجتي ماسة إلى فنجان القهوة السادة لعلها تذهب منى آلام الصداع.

ثم سألته مستفسراً :

كيف توفى عم.أبو هاشم ؟

قال : والله بعضهم بيقول أنه قتل أخذا بثأر قديم.

ثأر قديم .. يعنى إيه .. عم أبو هاشم اتقتل؟

وبيقولوا أن القتل كان بطلق نارى.

عجيبة؟

كان المقرئ قد بدأ يتلو سورة الختام فالتزمنا الصمت وبعدها انفض العزاء. فانصرفنا بينما كان هاشم يبدو حزيناً مهموماً وهو يصافح المعزين.

مقتل عم أبو هاشم

عندما آويت إلى فراشي .. تذكرت عم أبـــو هاشـــم وكوبرى التاريخ ثم الأحداث الرهيبة التـــى عشـــتها وفجـــأة نهضت من فراشي مذعوراً.

يا إلهى هى نفس المنطقة التـــى شـــهدت الإحـــداث ويحتمل أن يكون فى الأمر سر لاأعرفه وعلى الفـــور أدرت قرص التليفون أطلب النقيب حمدى.

شرحت له الأمر وأطلعته على هواجســـى وشـــكوكى واحتمال أن تكون هنالك علاقة بين مقتل عـــم أبـــو هاشـــم والإحداث المريرة التى عاصرتها فى نفس المنطقة.

كان رد النقيب حمدى أنه سيتصل بى بعـــد نصـــف ساعة ورجانى أن أظل مستيقظاً وكان لابد أن انتظر رغـــم أننى ذاهب غداً العمل بإذن الله ولا أملك سيارة تحت يـــدى وسيارة زوجتي ستلازمها عند ذهابها للعمل باكر.

السيارة المنكوبة

مرت عشر دقائق .. وبمجرد أن دق جرس التليفون تلقفت السماعة أذهلنى أن المتحدث على الطرف الآخر كان السيد وكيل النيابة.

الو .. يا أستاذ ممدوح مساء الخير .. أعتقد أنك محتاج لسيارتك وعلشان أفرجلك عنها لازم تحضر باكر وتتقدم بطلب.

على فكرة النقيب حمدى كلمنى من شوية فى موضوع المرحوم عم أبو هاشم تصبح على خير وقطع المكالمة دون أن يترك لى فرصة الرد.

ولم أكلف نفسى عناء البحث عن رقم تليفونه إذ كان اللحاق بالفراش هو الأهم فكان له الأولية فى هذا الوقت المتأخر من الليل.

وفى الصباح الباكر كنت قد تناولت افطارى .. وودعت ابنتى وهى تستقل سيارة المدرسة أما زوجتى فقد

توجهت إلى عملها وظللت انا فى انتظار قدوم زميـل لـى ليصطحبنى إلى العمل بسيارته.

بمجرد عودتى من عملى توجهت بسيارة زوجتى إلى مدرسة ابنتى إذ أن سيارة المدرسة مكلفة بالذهاب بها فقـط بناء على رغبتى أما العودة كنا نتدبر أمرها بمعرفتنا.

لغز بائع السودانى

وبينما كنت واقفاً فى انتظارها وبجانبى العديـد مـن سيارات أولياء الأمور فى انتظار بنـاتهم لـنفس الغـرض استرعى انتباهى بائع السودانى .,. تملكتنى الدهشة صرخت فى أعماقى .. ياالله أنه هو .. هو بذاته .. وكان من الصعب تمييزه وتلك الطاقية على رأسه وعندما انزلقت وكشفت عن كل راسه ظهر جليا أنه هو بعينه رغم محاولة التخفى وراء اللبدة الجوخ على رأسه والجلباب الرمادى الذى حرص دوماً على ارتدائه وأردت أن أقطع الشك باليقين .. فاقتربت منـه رويداً ورويداً ثم تقدمت وطلبت منه كيس سودانى .. فنظـر

إلى ثم قال بصوت خافت ويـداه منشـغلتان بملـئ كـيس السوداني :

ازيك ياأستاذ ممدوح .. أرجوك اعمل نفسك ما تعرفنيش ...

عقدت الدهشة لساني .. فأخذت كيس السـوداني واسـتدرت متجهاً نحو سيارتي.

سائق الشبح المتهور

ولم أكد افعل ذلك حتى فاجأتني سيارة شبح حمـراء مرت بجانبي منطلقة كالسهم في سرعة جنونية كادت تـؤدي بحياتي .. ومن هول المفاجأة تجمدت في مكاني وقد تملكتني الدهشة من تصرف هذا السائق المتهور وكأنه لا يعلم أنهـا منطقة مدارس وانه ينبغي عليه توخي الحيطة والحذر فـي القيادة .. حتى أن عم حسين الحارس النوبي للمدرسة فوجئ هو أيضاً بتصرف ذلك الشخص الأهوج.. فجاءني مهـرولاً يطمئن على سلامتي وكان واضحاً عليه علامات الاسـتياء والاستهجان .. وسمعته أنذاك يثرثر بحكايـات عـن ذلـك

الشخص لم أعطها وزناً إذ كنت منشغلاً بالاطمئنان على نفسي.

تقرير الطبيب الشرعى

عندما توجهت إلى مكتب السيد وكيل النيابة لم يكن موجوداً به ولكن أحد مساعديه قام بتسليمى رسالة منه كى إنتظره برهة حتي يعود ولم تمضى سوى لحظات قليلة حضر بعدها السيد وكيل النيابة الذى بادرنى بالتحية.

أهلاً يا أخ ممدوح.

أهلاً بيك يا فندم.

أنا آسف أتأخرت عليك شوية لكن عايز أقول أن المعلومات اللى قدمتها لنا كانت مفيدة جداً ثم استرسل قائلاً.

و أنا قدامى تقرير الطبيب الشرعى نتيجة تشريح جثة المرحوم/ الشهير بعم أبو هاشم لأنى كنت أمرت بتشريحها قبل الدفن.

اتضح يا سيد ممدوح أن القتل تم باستخدام سلاح نارى من مسافة قريبة جداً من بدن القتيل.

واتضح أيضاً أن الرصاصة المستخرجة من جثة المجنى عليه مطابقة تماماً لنوع الطلقات التى استقرت فى جسد الإرهابى قتيل سيارتك كما وأن فوارغ الطلقات التى وجدت قرب سيارتك مطابقة لها أيضاً.

يعنى الخلاصة هى أن الموضوع ليس موضوع ثأر قديم.

فقلت : وماذا ترجح إذن ؟

قال : من هنا أرجح أن الجماعة التى كانت فى أعقابك تلك الليلة هى بعينها التى قامت أيضاً باغتيال عم أبوز هاشم.

وطبعاً بمعاونة أجهزة أخرى سنتوصل لخيوط الجريمة ورؤوسها المدبرة.

قلت : الله يكون فى عونكم.

تنهد السيد وكيل النيابة ثم سكت برهة نظر إلى فرآنى واجماً فسألنى باشفاق .. فين طلب الإفراج عن سيارتك؟

اتفضل يا فندم .. وقدمت الطلب لسيادته فقرأه فى عجالة ثم قال :

تعال نشوفها على الطبيعة مرة أخرى.

خرجت معه فدخلنا من ممر ثم بابا ينفتح على ساحة صغيرة يبدو أنها خصصت كمستودع للسيارات والدراجات المتحفظ عليها على ذمة قضايا مختلفة.

وعندما توسطنا الساحة .. أشار على سيارة وقال :

هل هذه هى سيارتك؟

عندها صدرت منى شهقة شديدة مشوبة بحسرة وأسى فسألته:

أهذه سيارتى ؟

أليست هى يا سيد ممدوح .. قطعاً هى !!

ياربى .. وكيف خرجت منها حيا فقد أصابها الدمار من كل الجهات سبحان الله يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى وهو على كل شئ قدير "صدق الله العظيم".

عوضى على الله .. فلم تعد لى سيارة.

الآن لايسعنى إلا أن أقول فقط كانت لدى سيارة .. وكانت تعيننى على اختصار الوقت الضائع وأمور أخرى كثيرة هذه هى الحياة .. رحمك الله ياسيارتى فلا شئ يدوم إلا وجهه.

حمد الله على سلامتك يا أستاذ ممدوح.

تنبهت لذلك الصوت فإذا به النقيب حمدى.

الله يسلمك.

أستاذ ممدوح .. يا أستاذ ممدوح.

نعم ياسيادة النقيب.

فيه ناس عايزة تشوفك بكره.

ناس .. ناس مين؟

حتعرفهم لما تشوفهم .. بس تشرف سيادتك عندى بكرة باكر الأربعاء.

لكن أنا عندى اجتماع مجلس آباء مدرسة ريهام الساعة ٧,٠٠ مساء.

يا أستاذ ممدوح بعد ما تنتهى من الاجتماع نحب نشوفك.

آآه يا سعادة البيه أنا خلاص تعبت موش كفاية سيارتى وما جرى لها.

معلش .. إن شاء الله ربنا يعوضك عنها خير ويمكن تصادف وتلاقى اللى يقدر ظروفك.

يقدر ظروفى .. هو مين اللى يقدر ظروفى ياحمدى بك .. ما هو باين.

يا أستاذ ممدوح .. ما تفقدش الثقة واللى يعمل خير يلقاه عند الله.

ونعم بالله.

الاجتماع والظاهرة المثيرة

منذ بداية حضورى فى اجتماع مجلس الآباء رحت أصغى باهتمام شديد لما أثير حول موضوع طالبة تدهورت حالتها الصحية مما اضطرت معها إدارة المدرسة إلى استدعاء سيارة إسعاف لتنقلها إلى المستشفى ولا أنكر أننى اعتبرت الموضع إلى هذا الحد أمراً عادياً .. لكن ما لفت

نظرى وأثار انتباهى هو أن تشخيص طبيب المدرسة للحالة بأنها حالة إدمان مخدرات متأخرة.

ومازاد الطين بلة .. ذلك التقرير الذى تقدم به المشرف الاجتماعى ومفاده : أنه قد تلاحظ له تغييراً واضحاً فى سلوكيات بعض من الطالبات أثناء فترة الراحة .. وخلال الحصص.

فتيات قد عزفن عن اللهو والمرح البرئ على غير العادة وأصبحن يملن إلى الانطواء .. مع كثرة التردد على دورات المياه وناهيك عما أضافة بعض السادة المدرسين بما تلاحظ لهم من تغيير فى سلوك بعض الطالبات من كثرة الشرود وعدم التركيز أثناء الشرح والميل إلى النعاس .. وكلها مؤشرات توحى بوجود حالات أخرى للإدمان فى مراحل مختلفة.

والجدير بالذكر ما أوصى به المجلس فى اجتماعة بالإسراع فى عمل مسح طبى شامل على جميع الطالبات بالمدرسة وكافة العاملين بها دون إثارة انتباههم ويمكن

التعلُّل بأنها مجرد إجراءات فى سبيل الإشتراك فـــى نظـــام التأمين الصحى الشامل.

وما أن انتهى الاجتماع حتى خرجت مسرعاً .. حيث لازال أمامى من ينتظرنى بمكتب النقيب حمدى.

كانت الساعة تشير إلى التاسعة والنصف مـــن يـــوم الأربعاء عندما هممت بدخول مكتب النقيـــب حمـــدى ســـعد مستأذناً.

توقفت عند المدخل مندهشاً .. كل هؤلاء هنا؟ ولماذا؟

أهلاً يا أستاذ ممدوح .. اتفضل.

أهلاً بيك ياحمدى بيك .. خير إن شاء الله.

طبعاً خير .. أحب أعرفك بالسادة الحاضرين .. ضـــرورى تكون اتقابلت مع أغلبهم قبل كده ما عدا مسئول إدارة مكافحة المخدرات هو الشخصية الجديدة.

أهلاً بيكم .. لكن يا أستاذ حمدى أنا دخلى إيه فى وسطكم دا اللى محيرنى ..

على مهلك يا أستاذ ممدوح .. أنا جايلك فى الكـــلام "إن الله مع الصابرين".

كلام إيه بس .. !!

هنا تدخل كل من ضابط مباحث أمن الدولـــة ومســئول إدارة مكافحة المخدرات.

اقعد استريح يا أستاذ ممدوح.

أنا حاستريح لما تقولولى خلاص .. مـــوش عايزينـــك يـــا ممدوح.

ازاى حنقول موش عايزينك .. هى القضية اتقفلت.. !!

ثق أن أول ما نقفل القضية سيتم استدعاءك وإعلانك بذلك ثم يا أخى كمل جميلك وحتستريح من دوشتنا إن شاء الله قريباً.

اسمع يا أستاذ ممدوح احنا عارفين إنك كنت فـــى اجتمـــاع مجلس الآباء وضرورى حاسس بإرهاق وعايز تستريح لذلك موش حنتقل عليك.

أخبار الاجتماع إيه ..

الحقيقة كان اجتماع مثير وما يطمنش.

إيه اللى حصل فيه يا أستاذ ممدوح.

والله حاجة تحير .. وبدأت أحكي وقائع ما أثير فى الاجتماع ثم تذكرت موضوع السيارة الشبح الحمراء وتوقفت عند عبارة صدرت من عم حسين حارس المدرسة.

ولاستجلاء الأمر توجهت بسؤالى للسيد وكيل النيابة.

ممكن ألاقى عند سيادتك تفسّير لكلام عم حسين الراجل الطيب لأنه قال "إن صاحب السيارة الشبح أتعود يطلب منه يشترى له كيس سوداني وبعدين يطلب منه يرجع السوداني للبياع .. حاجة بالشكل ده .. بس ما كنتش مركز معاه فى لحظة الكلام ده.

قال النقيب حمدى : يا أستاذ ممدوح .. تقدر تخلينى أقابل عم حسين؟

بكل ممنونيه .. بكرة مساءاً عندنا واجب عزاء فى جمعيه نوبيه وسيكون عم حسين موجوداً هناك.

أقدر أروح معاك ..؟

اتفضل .. أهلا وسهلاً .. وسعيكم مشكور..

طيب ما دام مفيش مانع .. أرجو السماح لى بلحظة للتفاهم مع الزملاء وفى الحال التف الحاضرون حول مكتب النقيب حمدى .. ويبدو أنهم تشاوروا فيما بينهم.

وانتهوا إلى قرار : إذ توجه النقيب حمدى نحوى وقال :

يا أستاذ ممدوح تقدر حضرتك تروّح الليلة وتستريح وغدا لقاء نذهب فيه معا لتقديم واجب العزاء.

وهو كذلك .. السلام عليكم .. وانصرفت فى الحال..

فى جميعه الكنوز النوبيه

وفى مساء اليوم التالى دق جرس التليفون وكان المتحدث هو النقيب حمدى

أهلاً حمدى بك.

أنا جايلك يا أستاذ ممدوح .. أنت جاهز.

أنا جاهز يا فندم اتفضل الأول اشرب معايا فنجان شاى نوبى.

معلش خليها المرة الجاية .. أنا حنتظرك تحت العمارة بعد عشر دقائق من المغرب.

وصل النقيب حمدى بعد صلاة المغرب فى موعده واتجهنا معا إلى الجمعية لتقديم واجب العزاء فى وفاة واحد من أبناء بلدتى ومقابلة عم حسين.

فى بداية الطريق سألنى النقيب حمدى.

هى الجمعية بتاعتكم اسمها إيه يا أستاذ ممدوح؟

اسمها جمعية الكنوز الخيرية النوبية.

آه عرفتها دى اللى فى حى العطارين.

تمام يا حمدى بك سيادتك عارف كل حاجة فى الإسكندرية.

يقول إيه ياحمدى بك .. احنا زى ما سيادتك عارف لنا عاداتنا وتقاليدنا الخاصة وبيلتزم بيها كل المستويات فأرجوك خليك جنبى وأعمل زى ما حتصرف.

وهو كذلك.

عندما بلغنا مقر الجمعية كانت قاعة العزاء مزدحمة .. توقفت على عتبة القاعة أقرأ الفاتحة على روح المتوفى فهب أصحاب العزاء بالمنصة واقفين.

ثم تقدمت إليهم وبجانبى النقيب حمدى أصافحهم فرداً فرداً بدءاً من اليمين وكان واضحاً التزام النقيب حمدى.

بعدها القيت تحية الإسلام على جموع المعزين فجاءنى ردهم جميعاً فى صوت واحد.

كانت علامات الدهشة قد علت وجه النقيب حمدى حين رأى حرص كل الحاضرين على مصافحتى بحرارة بالغة.

لمحت النقيب حمدى وهو يدنومنى مقترباً فاحسست أن فى ذهنه حشد من التساؤلات لم يستطع ارجاءها فسألنى همساً :

لماذا رأى هذا الكم من عبوات السجاير على المنصة؟

وقبل أن تأتيه اجابتى .. كان أحد الشبان يطوف بالسجائر ويوزعها على الحاضرين مع فنجان القهوة.

وكان عم حسين ضمن الحاضرين بالقاعة ..

تجاذبنا أطراف الحديث وقمت بتقديم النقيب حمدى إليه فصافحه مرحباً

تحدث عم حسين ببساطته المعهودة فقال :

الحمد لله ربنا ستر يا أستاذ ممدوح .. الراجل المتهور ده .. البعيد كان حيشيلك بعربيته من الأرض .. الله يخرب بيته .. دى رجال مجنون والله . والحمد لله..

راجل عجيب خالص .. ثم توجه بكلامه إلى النقيب حمدى حيث كان مصغياً له تماماً.

تعرف يا أستاذ .. الراجل ده مجنون خالص.

ليه يا عم حسين؟

دى كل مرة يقولى خذ يا عم حسين هاتلى كيس سودانى من بياع السودانى اللى هناك.. أروح أجيب السودانى وأول ما أدور وشى يندهلى تانى ويجول رجع السودانى لأنه موش مملح، والا جيب يا سعادة البيه المرة الثانية جلت لنفسى يا واد يا حسين لازم يكون السودانى مملح عشان يعجب حضرته.

وبعدين يا عم حسين حصل إيه.

حصل أنه رجع السوداني لأنه مملح .. شفت إزاى بالذمـة يبجى ده راجل مجنون ولا عاجل .. يمكـن عليـه أفريـت سوداني مهمص.

ابتسم النقيب حمدى عندما انهى عم حسين حديثه وصـافحه وشد على يده بحرارة قائلاً:

أنا سعيد أنى شفتك ياعم حسين .. حقيقى انا سعيد..

عندك أولاد ياعم حسين؟.

طبعاً عندى ابنى بس فى بلاد بره .. أسـتاذ جـامعى فـى أمريكا..

ما شاء الله ربنا يكتر من أمثالك وأمثالـه ويرجـع لوطنـه بالسلامة.

ربنا يسمع منك يا سعادة البيه.

وقبل أن أنصرف رآنى النقيب حمدى أخرج من جيبى مبلغاً من المال وأقدمه لكاتب يسجله فى كراسة.

أوضحت للنقيب حمدى أن من عادتنا المشاركة فى الأفــراح والأ تراح معا وهذا المبلغ الصغير لأهل المتوفى .. نوع من التكافل ورغم ضآلته فهو يعين بقدر ما فى التخفيــف مــن الأعباء المالية ونفقات ما بعد الوفاة وهذا الشــخص الــذى يسجل المبالغ يعرف أسماء كل الحاضرين ويدون كل اســم أمام المبلغ المسدد منه.

نظر إلى النقيب حمدى وقال :

هذا شئ رائع حقاً بالإضافة إلى ان جمعياتكم تغنى عن إقامة السرادقات وتكاليفها الباهظة المرهقة.

وكانت السيارة قد بلغت منا منطقة سكنى فودعــت النقيــب حمدى على أمل لقاء آخر فى الساعة السابعة والنصف مساء غد الجمعة.

النقاط فوق الحروف

كانت الساعة قد قاربت السابعة مساء عندما اتصل بى النقيب حمدى وأراد أن يؤكد موعد الساعة ٧,٣٠ مساء بمكتبه.

لم تمض عشرون دقيقة حتى كنت على مقربة من مقر الشرطة.

وهناك كان اللقاء الحافل والذى سبق تأجيله.

شاهدت نفس الوجوه التي سبق وأن تعرفت بأصحابها من قبل وبداءة كنت عاقداً العزم على استجلاء بعض الأمور التى تشابكت فى ذهنى وكان منها موضوع الملازم صلاح على سبيل المثال لا الحصر ورغم اعتقادى بأن سؤالى الموجه للنقيب حمدى سيكون مفاجأة له غير انه بدا فى حقيقة الأمر .. كما لو كان على علم مسبقاً بما عزمت عليه إذ أننى عندما قلت : يا حمدى بك .: ممكن تقول إيه حكاية الملازم صلاح وقد رأيته بنفسى فقاطعنى النقيب حمدى قائلاً :

أنا عارف يا أخ ممدوح أنك شفته وبالأمارة حتى قال لك أعمل نفسك ما تعرفنيش.

تمام يا فندم..

أضف إلى ذلك أن لدى تساؤلات أخرى كثيرة أحب أعرف إجابة لها.

هنا تدخل السيد ضابط مباحث أمن الدولة وقال :

يا أخ ممدوح .. حضرتك مكلف معنا فى الدفاع عن المواطنين الأبرياء ومنهم الطالبات بصفتك ولى أمر طالبة بالإضافة إلى أمور أخرى تتميز بها عن غيرك .. ثم انضم إلى الحديث السيد وكيل النيابة واستطرد قائلاً :

ومن أجل ذلك سنضع لك كل النقاط فوق الحروف بحيث لن تكون هناك علامات استفهام أخرى .. اتفقنا ؟

شئ عجيب والله.

طبعاً يا أخ ممدوح سيادتك عارف أن مصر مستهدفة دائماً والأعداء كثيرون ويتربصون بها .. ويتحينون الفرص لضربنا من الداخل لتفويض أمننا وزعزعته وتبديد طاقتنا

ومواردنا .. وجندت لتنفيذ أغراضها الدنيئة بعض الجماعات الإرهابية وأغرتهم بالمال والسلاح للفتك بالمواطنين الأبرياء.

تململت فى جلستى مشدوها أنتظر مزيداً من التوضيح فاستطرد قائلاً :

-والتقارير الأمنية يا سيد ممدوح أن إحدى هذه الجماعات دخلت مصر وتسعى لتنفيذ بعض المهام القذرة وكان منها استغلال التشابه بين الملازم صلاح وبين أحد أفراد تلك الجماعة تشابه لدرجة يتعذر معها التميز بينهما .. ولولا الاسم الحركى للملازم صلاح لما انكشف أمرهم.

وعندما شعر المحركون لهذه الجماعة افتضاح أمرهم .. أرادوا التخلص من الملازم صلاح ورجلهم البديل فى وقت واحد.

فسألته مندهشاً وكيف تم ذلك؟

-عندما سمعت يا أستاذ ممدوح تلك الصرخة التى مزقت سكون الليل يوم الأحد كان ذلك جراء محاولة فاشلة لقتل الملازم صلاح .. وعندما أدرك الإرهابى فشل مهمته أراد

أن يلتقى بباقى جماعته ربما وفقاً لخطة سابقة .. لكن للأسف .. أو قل لحسن حظنا .. فإن هذا الإرهابى لم يكن يعلم بقرار الإجهاز عليه من جماعته .. فلقى مصرعه على أيديهم.

قلت : وماذا أنتم فاعلون ؟

قال : من جانبنا .. استخدمنا نفس أسلوبهم فأوهمنا أن الذى قتل فى السيارة هو الملازم صلاح .. ندعو الله أن تنطلى الخدعة عليهم حتى نحملهم على الاعتقاد بأن عميلهم لازال على قيد الحياة.

قلت : وكيف يكون ذلك؟

قال : عندما شاهدت الملازم صلاح متخفياً فى زى بائع السودانى عند المدرسة فهو فى مهمة يتقمص فيها شخصية رجلهم البديل ونأمل من وراء ذلك أن نزيد من جرعة اليقين لدى الجماعة وأن رجلهم لازال على قيد الحياة وتأكيداً لما نشر فى صفحة الوفيات بالجريدة اليومية فى حينه.

قلت : وماذا من أمر صاحب السيارة الشبح؟

يبدو أن صاحب السيارة الشبح هو أحد المكلفين مــن قبــل الرؤوس المدبرة بدليل أنه عندما رأى وجه بائع الســوداني إنتابه الهلع فاندفع بسيارته .. ربما هربا .. أو ربما ليتأكــد من حقيقة ما يراه بعينيه أو قل ربما أراد أن يقضى عليه .. وكنت أنت الحائل بينهما ونعود لنقول : الأمــل فــى الله أن يكون الملازم صلاح طعماً جيداً يلتهمه عقل تلك الجماعــة ليقعوا فى شر أعمالهم.

قلت : أفهم من ذلك أن ما أوضحه عم حسين يؤكد أن هناك شيئاً ما أو علاقة من نوع خاص تربط بين بائع الســودانى وصاحب السيارة الحمراء.

قال : بالتأكيد : ولم يعد هناك شك فــى أن البضــاعة يــتم تسليمها لبائع السودانى عندما يتم استبدال الكيس بآخر يحوى كمية من المخدرات.

قلت : ولماذا اختاروا هذه المدرسة بالذات؟

لأنها مدرسة لغات وتضم طالبات ينتمون إلى صفوة متميزة بالثراء واليسر المادى فى المجتمع السكندرى .. ولاشــك أن

فى ذلك ما يغرى العقول المريضة من العمل على استنزاف أموالهم وذلك ببث سموم المخدرات بين طالبات المدرسة البريئات.

قلت : ذلك ما أكده تقرير مجلس الآباء فى اجتماعه الأخير.

قال : أنت الآن تفكر معنا.

قال بقى أن نعترف بأننا لم نكن نعلم كيف كان يتم الاتصال بين الأطراف وعرفنا منك أن هناك عامل بوتاجاز بالمستودع القريب منكم فبائع السودانى ينتهز فرصة بعد الظهيرة حيث لاتعمل فيها المدارس بالإضافة إلى يوم الأجازة الأسبوعية (السبت) فيقوم بالاتصال فيها برئيسه المباشر متذرعاً بتوصيل أنبوبة بوتاجاز إلى الفيلا سكنه وهناك يتم تسوية كل الأمور.

قلت : ولكن لماذا التخفى وراء مهنة عامل البوتاجاز بالذات.

قال : ذلك ما نكثف الجهود لمعرفته.

قلت : يا لهم من أوغاد.

عندما توقف النقيب حمدى ومن معه عن الكلام أخذت شهيقاً عميقاً ثم أطلقت زفيره فى الهواء وأنا أقول يا سبحان الله .. كنت كمن قذف به فى دوامه وسط المحيط الهادى بأمواجـه المتلاطمة وأنقذنى منها صوت النقيب حمدى وهو يقول :

خلاص كده يا أستاذ ممدوح .. غـداً سـيكون يومـاً شـاقاً ومشهوداً وبعد غدا سنجمع كل الخيوط فى أيدينا بإذن الله.

اليوم المشهود

منذ الصباح الباكر ومكتـب النقيـب حمـدى يعـج بالمسئولين فقد تحول المكتب إلى ما يشبه غرفة العمليات.

وكان من أهم التقارير التى وضعت أمامهم اسـتناداً وتحليلاً لتقرير الطبيب الشرعى فى قتل المدعو زين الـدين الشهير (بعم أبو هاشم) فإنه يرجح أن يكون الجناة قد أقدموا على فعلتهم النكراء تمهيداً للقيام بعمل تخريبى بجسم كوبرى التاريخ.

وعليه فقد تم تكليف فريق من الخبراء المتخصصين في الكشف عن المتفجرات والتى يحتمل أن تكون مخبأة في مكان ما بجسم الكوبرى.

وأنه لم ترد حتى حينه أية إشارة بنتيجة البحث :

ومع بداية اليوم التالى لاحظت أنه قد انضم إليهم أيضا مسئول وزارة السياحة نظراً لوجود فوج سياحى يشرع فى العودة متجهاً إلى فندق شيراتون المنتزة وعليه فقد تم ارسال اشارة عاجلة إلى المسئولين عن الأمن فى منطقة العلمين للعمل على تأخير تحرك الفوج حتى يتم الكشف عن أية أجسام غريبة عالقة بجسم الكوبرى .. إلا ان الإشارة الواردة أفادت بأن الفوج قد تحرك بالفعل قبل وصول الإشارة إليهم كما وردت إشارة من إدارة المرور تفيد بأنه على جميع السيارات القادمة على الطريق الصحراوى تغيير مسارها نظراً لوجود عطل أغلق الطريق ابتداءاً من منطقة الكافورى بالعامرية وأن عليها أن تسلك طريق كوبرى أم زغيو .. وأصبح الأمر بذلك فى غاية التعقيد حيث ازداد الضغط المرورى على كوبرى التاريخ ولم يعد أمام

المسئولين بغرفة العمليات إلا الابتهال إلى الله أن يوفق فريق الخبراء فى الكشف عن تلك المتفجرات وإبطال مفعولها قبل أن تحل الكارثة.

وفى الوقت نفسه كان لابد من تكثيف الجهود أمام مدرسة البنات حتى تمام القضاء على رأس الإخطبوط الذى وصلت أذرعه حتى كوبرى التاريخ.

عندما دق جرس المدرسة معلناً نهاية اليوم الدراسى كان الكثيرون من أولياء الأمور قد سارعوا بإدارة محركات سيارتهم استعداداً للعودة بذويهم من الطالبات.

كنت على مقربة من بائع السودانى "الملازم صلاح" الذى أو مأ بطرفه عينه محيياً وعم حسين يقف على باب المدرسة وكان اتفاقى معه أن يلفت انتباهى عندما يلمح صاحب السيارة الشبح الحمراء وكانت كلمة السر هى :

(⊥ ∑ ┘ ـد Δ III ∞) وتنطق "تربيداسو" وهى جملة باللغة النوبية ومعناها "لقد حضر".

وعرفت من عم حسين أيضاً أن اثنين من رجال الأمن يعملون معه متنكرين فى زى جنايني وشاهدتهم بالفعل وكانوا منهمكين فى تشذيب الشجيرات وجمع أوراق الشجر الجافة المتناثرة فى مدخل المدرسة.

وكان الكل فى حالة يقظة تنتظر إشارة التحرك التى ستصدر من النقيب حمدى .. تمر اللحظات بطيئة .. بطيئة.

بدأ النقيب حمدى يكثر من النظر فى ساعته بين لحظة وأخرى .. والملازم صلاح يبدو وكأنه منهمك فى تعبئة أكياس اللب ولاشك أنه لن يغفل لحظة فى رصد السيارة الشبح الحمراء بمجرد ظهورها.

والكل لازال على أهبه الاستعداد وها هى قد وصلت السيارة الشبح .. لكن سرعان ما شعرنا بالاحباط المؤلم إذ تبين أن سائق السيارة الحمراء لم يكن هو نفس الشخص المعهود بل هو شخص آخر.

بدأ القلق يدب فى نفوسنا عندما أخذت الطالبات فى الانصراف وانحسر عددهن فى نفر قليل ثم ازداد الأمر يأساً

عندما شاهدنا السيارة الحمراء هى أيضاً شرعت بل أوشكت على الانصراف.

وعندها أمسك النقيب حمدى بجهاز الإرسـال ليبلـغ غرفة العمليات بفشل المهمة وأنه فى انتظار إشارة العـودة ... فى تلك اللحظة صدرت من عم حسين كلمة السر التـى طال انتظارنا لها إذ نادى صائحاً "تربيداسو .. تربيداسو".

وعلى الفور طلبت من النقيب حمدى بالتريث قلـيلا امتثل النقيب حمدى للنصيحة فأمسك عن الرد علـى غرفـة العمليات .. كانت عيوننا تتابع الملازم صلاح عندما اقتربت منه بائعة الورد لاستبدال باكوا السودانى بآخر مملح .. هنـا تنبه الجميع وتهيئوا لوضع الاستعداد التام.

تظاهر الملازم صلاح باستبدال باكو السـودانى فـى حين أعادة لها كما هو دون تبديل وبحيث لم تـدرك بائعـة الورد بتلك الحيلة.

تكتمنا أنفاسنا ونحن نتبع خطوات بائعة الورد حتـى وصلت إلى سيارة متسوبيشى خضراء يقبع بداخلها ضالتنا

وفى اللحظة الحاسمة انقض الجميع على السيارة ولم يشعر الا وقد طوق برجال الأمن من كل جانب متلبساً بحيازة المخدرات.

أدرك النقيب حمدى نداءات غرفة العمليات مسموعة فى جهاز اللاسلكى توضح استعدادها لتلقى إشارة إلغاء المهمة التى كان قد شرع بنفسه فيها فأمسك بجهاز الإرسال وهو يجفف عرقه واملى إشارة تفيد بأنه قد نجحت مهمته وتم إلقاء القبض على المجرم متلبساً بحيازة المخدرات كما واعترف بمحض إرادته بأنه يتم تمويل المخطط من حصيلة توزيع المخدرات.

سوء الطالع

ويبدو أن سوء الطالع قد لازم تلك الشرذمة الإرهابية فقد وردت إشارة إلى غرفة العمليات تفيد بأنه قد تم رصد سيارة شرطة يشتبه فيها .. شوهدت بالمنطقة الغربية من كوبرى التاريخ حيث مسرح العمليات .. وأن بالإطار الخلفى للسيارة علامة تطابق ما ورد بالنشرة المبلغة لإدارة المرور .. ومحتمل أن تكون هى نفس سيارة الشرطة المزيفة.

وعلى الفور صدرت التعليمات صريحة من غرفة العمليات لضبط وإحضار السيارة المذكورة مع القبض على من بداخلها من أفراد بشرط توخى الحذر الشديد نظراً لأنهم مسلحون وقد لايتورعون عن إحداث ضحايا بين المواطنين الأبرياء.

لم تمض سوى لحظات حتى وردت إشارة أخرى تفيد بأنه قد تم التحفظ على السيارة كما وتم إلقاء القبض على أفراد الجماعة الإرهابية كما وردت إشارة تفيد بأنه قد تم التحفظ على شاحنة بها حمولة أنابيب بوتاجاز فارغة فى طريقها إلى مصنع التعبئة .. إذ اتضح أن احداها تحوى مواد قابلة للاشتعال عند تعرضها للتعبئة تحت ضغط معين.

الثوانى الرهيبة

كان فريق خبراء المفرقعات فى سباق مع الزمن للعثور على المتفجرات وإبطال مفعولها قبل وصول الفوج السياحى .. بينما كان الأتوبيس السياحى قد اقترب بالفعل إلى مسافة بضع كيلو مترات من كوبرى التاريخ .. ثم دقائق

معدودة وبعدها شوهد الفوج السياحى يقترب من الكوبرى ولا زال البحث جارياً دون جدوى وفى الثوانى الأخيرة القاتلة .. التقط الخبراء أنفاسهم فقد تم عثورهم على العبوات الناسفة مخبأة فى مواضع خفيه بجسم الكوبرى وأبطلوا مفعولها فى حينه ثم خرجوا يلوحون بأيدهم للسائحين مع الأهالى .. وكان العرق لا يزال يتصبب من جبينهم فطغت ابتسامة عريضة على وجوهم بينما كانت تخرج مع أنفاسهم عبارة واحدة ظلوا يرددونها "الحمد لله .. الحمد لله".

بطاقة دعوة

أشرقت شمس اليوم التالي وكأنه يوم من أيام الربيع .. ومع بدايته كنت منشغلاً بأمور عائلية هامة ملقاة على عاتقى بصفتى المحور الرئيسى فى الإعداد لزفاف أخى شعبان.

بعد غد ليلة الحنة .. بينما الزفاف سيحل يوم الخميس القادم ولازالت بعض بطاقات الدعوة لم تصل لأصحابها.

ومع ذلك لم يغب عن ذهنى دعوة أصدقاء الأزمة وهما النقيب حمدى سعد والملازم صلاح .. فالأحداث الساخنة قد ربطت بيننا برباط الصداقة والحب.

المفاجأة المذهلة

توجهت فى المساء إلى مكتب النقيب حمدى .. فوجدته على غير عادته يرتدى ملابس مدنية وشخص آخر برتبة نقيب يجلس على مكتبه.

السلام عليكم

عليكم السلام ورحمة الله وبركاته .. اتفضل يا أستاذ ممدوح ابن حلال والله كنا فى السيرة دلوقت.

خير إن شاء الله

طبعاً خير .. اتفضل اجلس

يا حمدى بك أنا جايب لسيادتك والأستاذ صلاح بطاقتين دعوة لحضور فرح أخويا شعبان.

ألف مبروك وعقبال ما تفرح ببنتك ريهام

الله يبارك فيك

بس يا أستاذ ممدوح أنا جاى من غير دعوة لأن فرح أحوك هو فرحنا كلنا وأعتقد أن سيادة النقيب الجالس على المكتب ده .. ما فيش مانع أنه يحضر معانا ولا رأيك إيه يا أستاذ ممدوح ؟

بالعكس يا فندم :. حالاً اكتب باسمه كارت دعوة.

أنت دعيته فعلاً يا أخ ممدوح وبطاقة الدعوة معاه دلوقت وبخط إيدك

يعنى إيه يا حمدى بك !!

"هى دى المفاجأة اللى كنت حقولها لك"

مفاجأة إيه .. ؟!

يا أستاذ ممدوح .. أعرفك بالنقيب حمدى سعد الحقيقى مشيراً بيده نحو الشخص الجالس على مكتبه.

يعنى إيه يا حمدى بك.

يعنى اللى قاعد على المكتب .. هو النقيب حمدى سعد

الله .. أمال سيادتك تبقى مين .. ؟!!

انا اسمى فكرى السويفى .. العميد فكرى السويفى وكنت مكلف بمهمة خاصة فاستعرت مكتب النقيب حمدى سعد واسمه كمان وجه الوقت علشان أرد الأمانة

وماكدت أسمع حتى رحت اضرب جبهتى براحة يدى حتى أستطيع أن استوعب هول المفاجأة.

انا موش مصدق ودانى ولامصدق عينية ما تتكلم ياحمدى بك قصدى يافكرى بك

دى الحقيقة يا أخ ممدوح .. انت موش مصدق؟

وهنا بادرنى النقيب حمدى يسألنى

يا أستاذ ممدوح هل توافق على دعوتى فى حفل أخوك شعبان

فأجبته على الفور سيادتك تشرف يافندم

فتدخل العميد فكرى السويفى قائلاً .. طبعاً يا عم والـــدعوة معاك بخط ايده وضحكنا جميعاً .. وانصرفت مندهشاً علـــى ان نلتقى فى ليلة الحنة.

ليلة الحنة

بدت الأنوار بألوانها الجميلة تزين مـــدخل الشـــارع الجانبى من شارع الفراهدة بحى اللبـــان واكتســـت الأرض النظيفة بألوان من نشارة الخشب .. وأطفال الحارة يمرحون فرحين بمظاهر الفرح وعربة محملة بكراسى كثيـــرة تحـــط حمولتها أمام بيت أهل العريس .. وشباب فى خفه الشمبانزى يتعلقون بالمراين الخشبية للسرادق وخشبة المسرح ويجـــرى تزويدها بالسماعات ومكبرات الصوت يجرى تجربتها.

بينما ازدحم سلم البيت بأفواج المهنئات وهن فى حركة دائبة صعوداً ونزولاً .. تشـــعرك بجديـــة المشـــاركة الوجدانيـــة وصدقها.

ومع غروب الشمس ظهر بعض أفراد الفرقة الفنيـــه النوبية بدفوفهم المزركشة وشقوا طريقهم إلى أعلى حيث شقة العريس شعبان الذى ظهر فى أبهى صورة فى جلباب أبيض

وبدأ وجهة وضاءا يشع بهجة وكان من يقترب منه مهنئاً ينعم بروضة العطور الفواحة من روائح المسك والعنبر.

امتلأت المقاعد كلها فى لحظات حتى جنبات الطريق أصبحت عسيرة الاختراق وانطلقت الزغاريد واكتظت شرفات المنازل بنساء وفتيات يرتدين أجمل الثياب وتزين بالحلى الذهبية.

بدأ موكب العريس يتحرك نزولاً وسط دقات الدفوف.

وصينية الحنة بالشموع تسبقه .. وعلت الحناجر بالتهليل وترديد أحلى الكلمات وقد وصفنى القريبون منى بأننى كنت فى حيوية بالغة .. وسط هذا المهرجان الجميل .. وقد كنت حقاً فى غاية السعادة وأنا أتقبل التهانى من الرجال والشباب وقد إمتلأت جيوبى بفلوس النقطة التى لم تنقطع طوال الليل .

عندما وصل الموكب عتبة البيت .. أشار نفر من الشباب بقدوم ضيوف غرباء للتهنئة وكان الضيوف هم

السادة العميد فكرى السويفى ونجله الصغير والنقيب حمــدى سعد والملازم صلاح.

سارعت باستقبالهم واحاطتهم بكامل الحفاوة والترحاب وسارع الشباب إلى إفساح الطريق لهم حتى صافحوا العريس مهنئين فى اللحظة التى أخليت فيها لهم المقاعــد الأماميــة وقدمت لهم أكواب الشربات.

بدأت الفرقة النوبية تؤدى عروضها الفنية تصـــاحبهم كوكبة من شباب الراقصين وتمايل جمــوع .. الحاضــرين طرباً معهم .. حتى نجل العميد فكرى السويفى قد اندمج مع الشباب فى أداء راقص جميل وسط الزغاريد والتصفيق.

بدأ ميكروفون الحفل يذيع على الملأ ترحيــب أهــل العروسين بالحاضرين من الضيوف وخص بالترحيب العميد فكرى السويفى والنقيب حمدى سعد والملازم صلاح.

عند ذلك صعد إلى المنصة العميد فكــرى الســويفى وهنأ العروسين وشكر الحاضرين من جمهور أبناء النوبه ثم أضاف قائلاً :

أما بالنسبة لزملائى النقيب حمـدى سـعد والمـلازم صلاح فأنى أود أن أبادر بتهنئتهما حيث تمت ترقيتهما اليوم .. فالتهبت الأكف بالتصفيق وبدت السعادة على وجه كـل منْ النقيب حمدى سعد والملازم صلاح .. ثم قال أيضاً أمـا عن الأخ ممدوح فلدينا له ولأخيه العريس شعبان أكثر مـن مفاجأة والمرة دى المفاجآت حلوة يا أخ ممدوح.

أولاً : بطاقة دعوة مقدمة من السيد وزير السـياحة لقضـاء أسبوع سياحى مع الإقامة الكاملة لك ولأسرتك فى أى منتجع سياحى فى مصر وذلك تقديراً لمسـاهمته فـى توفير المناخ الطيب للسائحين.

ثانياً : اتفضل مفاتيح سيارتك وقد تـم اصـلاحها بالكامـل وأصبحت كما ولم يحدث بها شئ وذلك علـى نفقتنـا ونفقة المهتمين بأمن مصر.

ثالثاً : شهادة تقدير مقدمة من كل من السيد وزيـر الداخليـة والسيد محافظ الإسكندرية والسيد مدير الأمـن وذلـك

نظير مشاركتك الصادقة كمواطن صالح يحتذى به فى استتباب الأمن.

وهنا علت الصيحات وإزدادت حدة التصفيق من الحاضرين مدوياً .. وبينما كانت دموع الفرحة تملأ عينى قد استطعت أن أهتف عالياً تحيا مصر .. تحيا مصر كلنا فداؤك يا مصر.

وهنا تقدم العميد فكرى وزملاءه ليصافخونى .. فتشابكت أيدينا مرتفعة عالياً لتحيى الجماهير التى التهبت حماساً.

لحظات ثم خرجت فى صحبتهم مودعاً حتى بلغت بهم ناصية الشارع الرئيسى.. فلمحت أحد بائعى السودانى يقف على مقربه منى .. ودون أن أشعر سارعت بتحيته قائلاً . أهلاً سعادة البيه.

وكان البائع مذهولاً .. فضحكت .. وضحك الجميع

وانطلقت السيارة بهم مبتعدة .. تصحبهم مظاهر الفرحة.

(تمت)

- تربيداسو : قصة بوليسية اجتماعية حافلة بالإثارة والغموض
- تربيداسو : كل وقائع أحداثها بمدينة الإسكندرية.
- تربيداسو : هى القصة الحاصلة على المركز الثانى من جماعة الأدب العربى.
- تربيداسو : بطلها الشاب النوبى ممدوح الذى وجد نفسه فى خضم أحداث رهيبة تضعه فى محك مع مبادئه التى يؤمن بها.
- تربيداسو : قصة تعكس ومضات من عادات أهل النوبة فى مجتمع المدينة.

نبذة عن المؤلف

- من مواليد الثلاثينات بقرية مباركاب بالنوبة القديمة.
- متزوج وله خمس من الأولاد.
- حاصل على بكالوريوس في الاقتصاد والعلوم السياسية.
- وكيل وزارة سابق بالهيئة العامة للاستثمار والمناطق الحرة.
- له أنشطة اجتماعية / رئيس مجلس إدارة نادى الكنوز العام بالإسكندرية حالياً.
- عضو بكل من مكتبة الإسكندرية – ونادى التجارة – والنادى النوبى العام – ونادى أكاسيا – ورابطة خريجى مدرسة رأس التين.
- له أنشطة رياضية، حاصل على المركز الأول على العالم فى البطولة الدولية لتنس الطاولة للرواد بشرم الشيخ (٢٠٠٤) والمركز الثانى عام ٢٠٠٥، ٢٠٠٦ بالأقصر، ٢٠٠٧ بشرم الشيخ.

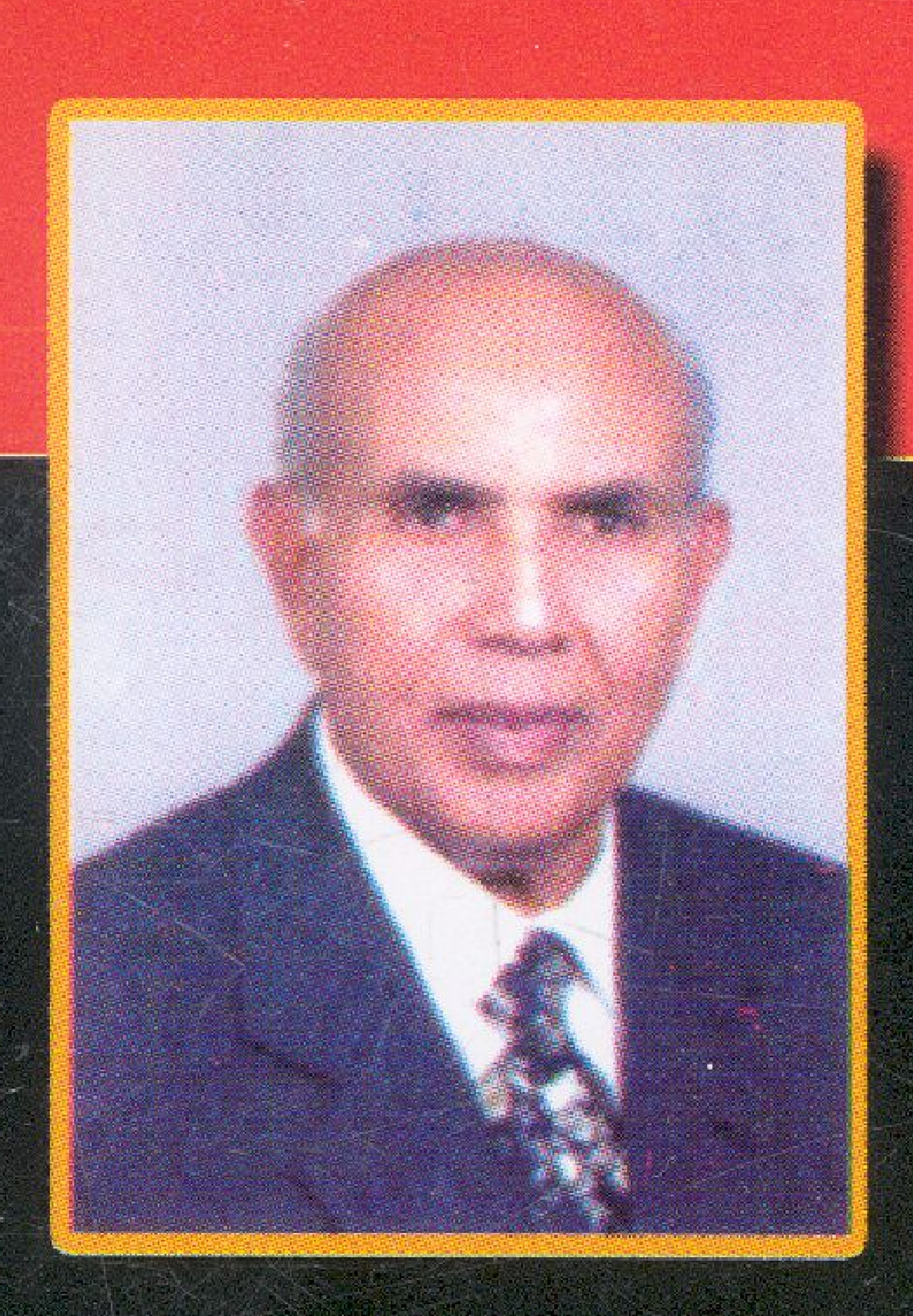
من مؤلفاته التى نشرتها الصحافة :

- بسارية إسكندرانى – قصة قصيرة.
- عيد سعيد ياجدتى قصة قصيرة.
- جناية عقل – نظم
- عصفور النيل – نظم
- أعماق – نظم

مؤلفات تحت الطبع

- بير مسعود
- رحلة عجيبة
- جاهون وغرباء على ضفاف النيل

فهرس



محمود شرف

تربيداسو

- تربيداسو : قصة بوليسية اجتماعية حافلة بالإثارة والغموض
- تربيداسو : كل وقائع أحداثها بمدينة الإسكندرية.
- تربيداسو : هى القصة الحاصلة على المركز الثانى من جماعة الأدب العربى.
- تربيداسو : بطلها الشاب النوبى ممدوح الذى وجد نفسه فى خضم أحداث رهيبة تضعه فى محك مع مبادئه التى يؤمن بها.
- تربيداسو : قصة تعكس ومضات من عادات أهل النوبة فى مجتمع المدينة.